رسائل

مارکس انجلس

مارکس انجلس

رسائل

من ماركس
الى بافل اننكوف

في باريس

بروكسل ، ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) [عام ١٨٤٦]

عزيزي السيد اننكوف !

لو ان بائع الكتب الذي اتعامل معه لم يتأخر في ارسال كتاب السيد برودون «بؤس الفلسفة» اليّ حتى الاسبوع الماضي ، لكنت تلقيت من زمان جواباً عن رسالتك بتاريخ اول تشرين الثاني (نوفمبر) . ولقـــد تصفحت الكتاب في مدى يومين لكي اتمكن من اطلاعك على رأيي فوراً . وبما اني قرأته بسرعـــة كبيرة ، فلا يسعني ان اتناوله بالتفصيل . انما استطيع فقط ان اتحدث عن الانطباع العام الذي تركه في نفسي . واذا شئت ، فبمقدوري ان اكتب لك عنه بمزيد من التفصيل في رسالة تالية .

اعترف صراحة اني اجد الكتاب على العموم رديئاً ، رديئاً جداً . وانت نفسك تمزح في رسالتك بصدد «الزاوية من الفلسفة الالمانية» التي يتغندر فيها السيد برودون بهذا المؤلف الدعي والعديم الشكل ، ولكنك تظن ان السم الفلسفي لم يسمم دراساته الاقتصادية . وانا ايضاً بعيد عن اعتبار فلسفة السيد برودون سبب اخطاء دراساته الاقتصادية . فان السيد برودون لا ينتقد الاقتصاد السياسي انتقاداً خاطئاً لأنه صاحب فلسفة مضحكة — بل انه يقدم لنا فلسفة مضحكة لأنه لم يفهم النظام الاجتماعي

الحديث بتعشيقاته [engrènement] اذا استعملنا كلمة يستقرضها السيد برودون مثل كثيرين غيره من فوريه .

لماذا يتكلم السيد برودون عن الله وعن العقل العام وعن عقل البشريـــة اللامشخص ، الذي لا يخطئ ابداً والذي كان دائماً مساوياً لنفسه والذي حسبنا ان نكوّن فكرة صحيحة عنه حتى نمتلك الحقيقة ؟ لماذا يلجأ الى الهيغلية التي فهمها فهماً سطحياً لكي يرسم عن نفسه صورة مفكر عميق ؟

انه هو نفسه يعطينا المفتاح لفض اللغز . فان السيد برودون يرى في التاريخ عدداً معيناً من التطورات الاجتماعية . ويجد في التاريخ تحقيق التقدم . ويجد اخيراً ان الناس ، مأخوذين كأفراد منفردين ، لم يعرفوا ما يفعلون ، وانهم كوّنوا فكرة خاطئة عن حركتهم بالذات ، مفادها ان تطورهم الاجتماعي يبدو ، من النظرة الاولى ، شيئاً متميزاً ، منفصلا ، مستقلا عن تطورهم الفردي . وليس بمقدوره ان يفسر هذه الوقائع ، ولذا تظهر هنا بالذات الفرضية القائلة بالعقل العام المتجلي . وعندما ينقص العقـــل السليم ، ليس ثمة ما هو اسهل من اختراع الاسباب الصوفية ، اي من تلفيق الجمل الفارغة .

ولكن السيد برودون ، حين يعترف بعدم فهمه التام لتطور البشرية التاريخي ، – وهو يعترف بهذا عندما يلجأ الى الكلمات المدوية عن العقل العام وعن الله ، وما الى ذلك ، – ألا يعترف بالتالي حتمـــاً بانه عاجز عن فهم **التطور الاقتصادي** ايضاً ؟

ما هو المجتمع ، ايا كانت اشكاله ؟ نتاج تعاون الناس . هل الناس احرار في اختيار هذا الشكل او ذاك من اشكال المجتمع ؟ كلا ، ابداً . خذ درجة معينة من تطور قوى الناس المنتجة ، تحصل على شكل معين للتبادل [commerce] والاستهلاك . خذ درجـــة معينة من تطور الانتاج والتبادل والاستهلاك ، تحصـــل على نظام اجتماعي معين ، وتنظيم معين للعائلة او الفئات او الطبقات ، – وبكلمة مجتمع مدني معين . خذ مجتمعاً مدنياً معيناً ، تحصل على نظام سياسي معين لا يعدو ان يكون تعبيراً رسمياً عن المجتمع

المدني . وهذا ما لن يفهمه السيد برودون ابداً لأنه يتصور بأنه يجترح شيئاً ما عظيماً عندما يستعيض عن الدولة بالمجتمـــــع المدني ، اي عن خلاصة المجتمع الرسمية بالمجتمع الرسمي .

ومن نافل الكلام ان نضيف الى هذا ان الناس ليسوا احراراً في اختيار **قواهم المنتجة** التي تشكل اساس تاريخهم كله لأن كل قوة منتجة هي قوة مكتسبة ، هي نتاج نشاط سابق . وعليه تكون القوى المنتجة نتيجة طاقة الناس العملية ، ولكن هذه الطاقة ذاتها تحددها الظروف التي يعيش في ظلهـــا الناس ، والقوى المنتجة المكتسبة سابقاً ، وشكـــل المجتمع الذي كان موجوداً قبلهم ، والذي لم يصنعه هؤلاء الناس ، بل صنعه الجيل السابق . وبفضل هذا الواقع البسيط وهو ان كل جيل لاحق يجد القوى المنتجة التي اكتسبها الجيل السابق ، وان هذه القوى المنتجة تؤلف بالنسبة له مادة خاماً لأجل الانتاج الجديد ، – بفضل هذا الواقع تتشكل الصلة في التاريخ البشري ، يتشكل تاريخ البشرية الذي يصبح اكثر فاكثر تاريخ البشرية بقدر ما تتنامى قوى الناس المنتجة ، وبالتالي علاقاتهم الاجتماعية . ومن هنـــا استنتاج ضروري : ان تاريخ الناس الاجتماعي انما هو دائماً مجرد تاريخ تطورهم الفردي ، سواء ادركوا هذا ام لا . ان علاقاتهم المادية تشكل اساس جميع علاقاتهم . وهذه العلاقات المادية ليست غير الاشكال الضرورية التي يجري بها نشاطهم المادي والفردي .

ان السيد برودون يخلط الافكار والاشياء . فان الناس لا يتخلون ابداً عما اكتسبوه ، ولكن هذا لا يعني انهم لن يتخلوا عن ذلك الشكل من اشكال المجتمع الذي اكتسبوا فيه قوى منتجة معينة . بل بالعكس . فلكي لا يفقد الناس النتيجة الحاصلة ، لكي لا يخسروا ثمار الحضارة ، ينبغي عليهم ان يغيروا جميع الاشكال الاجتماعية الموروثة عندما لا يبقى اسلوب تعاملهم [commerce] متطابقاً مع القوى المنتجة المكتسبة . – وانا استعمل هنا كلمة « commerce » باوسع معانيها ، بالمعنى الذي تستعمـــل به في الالمانية كلمة « Verkehr » . – مثلاً : ان الامتيازات ، وطوائف

الحرف ، والجمعيات ، وكـــل منهاج التنظيم الحرفي في القرون الوسطى ، انما كانت عبارة عن علاقات اجتماعية مطابقة وحدها دون غيرها للقوى المنتجة المكتسبة وللنظام الاجتماعي الموجود من قبل ، والذي انبثقت منه هذه المؤسسات . وفي ظل بنيان التنظيم الحرفي ، تراكمت الرساميل ، وتطورت التجارة البحرية ، وأسست المستعمرات ؛ ولو ان الناس ارادوا صيانة الاشكال التي نضجت في ظلها هذه الثمار ، لكانوا حرموا انفسهم من ثمار كل هذا . ولهذا دوت ضربتان كدوي الرعد ، هما ثورتا ١٦٤٠ و١٦٨٨ . فان جميع الاشكال الاقتصادية القديمـــة ، والعلاقات الاجتماعية المطابقة لها ، والنظام السياسي الذي كان التعبير الرسمي عن المجتمـــع المدني القديم ، — كل هذا تم تدميره في انجلترا . وعليه تكون الاشكال الاقتصادية التي ينتج الناس ويستهلكون ويتبادلون في ظلها اشكالا **عابرة وتاريخية** . ومع اكتساب قوى منتجة جديدة ، يغير الناس اسلوب الانتاج ، ومع اسلوب الانتاج يغيرون جميع العلاقات الاقتصادية التي لم تكن علاقات ضرورية الا لاسلوب الانتاج المعين هذا .

وهذا ما لم يفهمه السيد برودون ، ناهيك عن انه لم يبيّنه . وبما ان السيد برودون عاجز عن تتبع السير الفعلي للتاريخ ، يتحفنا ، عوضاً عن هذا ، بسلسلة من الاوهام تدعي بأن تكون سلسلة ديالكتيكية من هذا النوع . وهو لا يشعر بالحاجة الى الكلام عن القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر لأن تاريخه يجري في ذرى الخيال ما فوق الغيوم ، ويحلق عالياً ما وراء حدود الزمان والمكان . وبكلمة ، ان هذا من النفايات الهيغلية وليس تاريخاً عاديـــاً ، تاريخ البشر ، بل تاريـــخ مقدس ، اي تاريخ الافكار . فالانسان من وجهة نظر برودون ليس غير اداة يستخدمها الفكر او العقل السرمدي من اجل تطوره . ان **التطورات المترجم** (évolutions — التي يتحدث عنها السيد برودون هي ، حسب تفسيره ، تطورات تجري في جو الفكرة المطلقة الغامض . واذا نزعت الغطاء عن كل هذا الكلام الغامض ، لرأيت ان السيد

برودون يرسم لك نظاماً تقوم بموجبه المقولات الاقتصادية في رأسه . ولا ادعي لي الجهد الكبير لكي أثبت لك ان هذا نظام رأس مشوش جداً .

يستهل السيد برودون كتابـــه بمحاكمة حول **القيمة** ، وهي موضوعه المفضل . وهذه المرة لن احلل هذه المحاكمات .

ان جملة من تطورات العقـــل السرمدي الاقتصادية تبدأ من **تقسيم العمل** . فان تقسيم العمل هو ، بنظر السيد برودون ، شيء بسيط تماماً . ولكن ألم يكن نظام الفئات المغلقة شكلا معيناً من تقسيم العمل ؟ ألم يكن النظام الحرفي شكلا آخر من تقسيم العمل ؟ وتقسيم العمل في مرحلة المانيفاكتوره التي تبدأ في منتصف القرن السابـــع عشر وتنتهي في انجلتـــرا في اواخـــر القرن الثامن عشر ، الا يتميز تماماً وكلياً عن تقسيم العمل في الصناعة الكبيرة العصرية ؟

ان السيد برودون يفهم كنه المسألة بصورة رديئة الى حد انه يغيب عن باله حتى ما لا ينساه الاقتصاديون العاديون . فهو حين يتكلم عن تقسيم العمل ، لا يشعر ابداً بالحاجة الى الكلام عن **السوق** العالمية . هكذا اذن ! ولكن تقسيم العمل في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، حين لم تكن ثمة بعد مستعمرات ، حين لم تكن بعد اميركا موجودة بالنسبة لاوروبا ، وحين لم تكن الصلة مع آسيا الشرقية تقوم الا عبر القسطنطينية ، ترى ، ألم يكن يتميز حتمـــاً بصورة جذرية عن تقسيم العمل في القرن السابع عشر ، حين كانت قد ظهرت مستعمرات متطورة تماماً ؟

ولكن هذا ليس بعد كل ما في الامر . ترى ، أليس تنظيم الشعوب الداخلي كله وعلاقاتها العالمية كلها تعبيراً عن شكل معين من تقسيم العمل ؟ ترى ، ألا ينبغي ان يتغير كل هذا مع تغير تقسيم العمل ؟

ان السيد برودون بعيد عن فهم مسألة تقسيم العمل الى حد انه لا ينبس ببنت شفـــة عن فصل المدينة عن القرية ، الذي جرى ، في المانيا مثلا ، من القرن التاسع الى القرن الثاني عشر

ضمناً . ولهذا كان هذا الفصل ، بنظر السيد برودون ، قانوناً سرمدياً ، لأنه لا يعرف لا منشأه ولا تطوره . وهو يحاكم في كل كتابه كأن هذا النتاج لاسلوب انتاج معين سيظل قائماً حتى آخر الدهر . وكل ما يقوله السيد برودون عن تقسيم العمل لا يعدو ان يكون خلاصة – ناهيك عن انها خلاصة سطحية جداً وغير كاملة – لما قاله من قبله آدم سميث وكثيرون آخرون .

التطور الثاني – هو **الآلات** . ان الصلة بين تقسيم العمل والآلات عند السيد برودون غامضة تماماً . فكل شكل من اشكال تقسيم العمل كانت تناسبه ادوات انتاج خاصة به . فمنذ منتصف القرن السابع عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر ، مثلا ، لم يكن الناس يصنعون كل شيء بايديهم . كانت عندهم ادوات ، بله ادوات معقدة جداً ، كالآلات-الادوات والسفن والامخال ، وهكذا دواليك وهلمجراً .

وعليه من السخف اطلاقاً ان نعتبر ظهور الآلات نتيجة لتقسيم العمل بوجه عام .

وألاحظ عرضاً ان السيد برودون قلّما فهم تاريخ تطور الآلات وكذلك تاريخ منشئها . يمكن القول ان مقتضيات الاستهلاك قد ازدادت على العموم قبل عام ١٨٢٥ – اي قبل عهد الازمة العامة الاولى – بأسرع مما ازداد الانتاج ، وان تطور الآلات كان نتيجة محتمة لحاجات السوق . ومنذ عام ١٨٢٥ لم يكن اختراع الآلات واستعمالها الا نتيجة للحرب بين ارباب العمل والعمال . ولكن هذا القول لا يصح الا على انجلترا . اما الامم الاوروبية ، فان مزاحمة انجلترا ، سواء في سوقها الداخلية ام في السوق العالمية ، هي التي اجبرتها على استعمال الآلات . واخيراً ، بدأ استعمال الآلات في اميركا الشمالية سواء من جرّاء المزاحمة مع الشعوب الاخرى ام من جرّاء نقص الايدي العاملة اي من جرّاء عدم التطابق بين الحاجات الصناعية في اميركا الشمالية وبين سكانها . ومن هذه الوقائع بوسعك ان تستخلص وتعرف اي حدة ذهن يبديها

السيد برودون عندما يستحضر شبح المزاحمة بوصفه التطور الثالث ، بوصفه نقيض الآلة !

واخيراً ، من غير المعقول عموماً تحويل **الآلات** الى مقولة اقتصادية الى جانب تقسيم العمل ، والمزاحمة ، والتسليف ، الخ .

ان الآلة ، شأنها شأن الثور الذي يجر المحراث ، قلّما تكون مقولة اقتصادية . فان **استعمال** الآلات في الوقت الحاضر هو احدى علاقات نظامنا الاقتصادي المعاصر ، ولكن اسلوب استثمار الآلات ليس ابداً الآلات ذاتها . فالبارود يبقى بارودا سواء استعمل لاجل اصابة رجل بجراح ، ام لأجل علاج جراح الرجل نفسه .

ان السيد برودون يتجاوز نفسه بنفسه حين يخلق في رأسه المزاحمة والاحتكار والضريبة او البوليس والميزان التجاري والتسليف والملكية في الترتيب الذي اوردتها به الآن . فان مؤسسات التسليف جميعها تقريباً قد تطورت في بريطانيا في مستهل القرن الثامن عشر ، اي قبل اختراع الآلات . ان تسليف الدولة لم يكن غير اسلوب جديد لزيادة الضرائب وتلبية الحاجات الجديدة الناجمة عن وصول طبقة البرجوازية الى الحكم .

واخيراً تشكل **الملكية** المقولة الاخيرة في منهج السيد برودون . اما في العالم الفعلي ، فالامر بالعكس ؛ فان تقسيم العمل وجميع مقولات السيد برودون الاخرى هي عبارة عن علاقات اجتماعية تشكل بمجموعها ما يسمونه في الوقت الحاضر **بالملكية** ؛ وخارج هذه العلاقات ، ليست الملكية البرجوازية غير وهم ميتافيزيائي وحقوقي . فان ملكية عصر آخر ، الملكية الاقطاعية ، تتطور في ظل علاقات اجتماعية مختلفة تماماً . وان السيد برودون ، اذ يصف الملكية بانها علاقة مستقلة ، يقترف ما هو اسوأ من غلطة منهاجية ؛ فهو يبيّن عدم فهمه لتلك الصلة التي تربط بين جميع اشكال الانتاج **البرجوازي** ؛ وهو يبيّن عدم فهمه للطابع **التاريخي والعابر** لاشكال الانتاج في عصر معين . وبما ان السيد برودون لا يرى ان مؤسساتنا الاجتماعية هي نتاج التطور التاريخي

ولا يفهم لا منشأها ولا تطورها ، فلا يسعه ان يسلط عليها غير نقد عقائدي جامد .

ولتفسير التطور ، يضطر السيد برودون للجوء الى **الوهم** . فهو يتصور ان تقسيم العمل ، والتسليف ، والآلات ، والخ . ، — ان كل هذا قد أُخترع من اجل خدمة فكرته الثابتة ، فكرة المساواة . وتفسيره ساذج للغاية . فان كل هذه الاشياء قد ابتكرت من اجل المساواة ، ولكنها ، مع الأسف انقلبت على المساواة . وفي هذه تتلخص كل محاكمته ، اي انه يأخذ فرضية اعتباطية ؛ ولكن لما كان التطور الفعلي يناقض وهمه لدى كل خطوة ، فهو يستنتج من هذا انه يوجد تناقض . بيد انه يخفي ان هذا التناقض لا يوجد الا بين افكاره الثابتة والحركة الفعلية .

وهكذا لم يفهم السيد برودون ، — وذلك في المقام الاول لعدم وجود معارف تاريخية عنده — ان الناس ، اذ يطورون قواهم المنتجة ، اي اذ يعيشون ، يطورون علاقات معينة بعضهم مع بعض ، وان طابع هذه العلاقات يتغير حتماً مع تحول ونمو هذه القوى المنتجة . ولم يفهم ان **المقولات الاقتصادية** ليست غير **تجريدات** لهذه العلاقات الفعلية وليست عبارة عن حقائق الا ما دامت هذه العلاقات موجودة . وعليه يقع في خطأ الاقتصاديين البرجوازيين الذين يرون في هذه المقولات الاقتصادية قوانين ابدية ، لا قوانين تاريخية ، — اي قوانين لا يسري مفعولها الا في مرحلة معينة من التطور التاريخي ، في مرحلة معينة من تطور القوى المنتجة . وبدلا من ان يعتبر السيد برودون ، بالتالي ، المقولات الاقتصادية السياسية تجريدات للعلاقات الاجتماعية التاريخية العابرة ، الفعلية ، يشوه المسألة بصورة صوفية ، ويرى في العلاقات الفعلية مجرد تجسيد لهذه التجريدات . وما هذه التجريدات الا صيغ كانت نائمة في حضن الاله الوالد منذ خلق العالم بالذات .

وهنا يبدأ عند صاحبنا الطيب السيد برودون مخاض فكري عسير ؛ فاذا كانت جميع هذه المقولات الاقتصادية فيض من قلب

الاله ، واذا كانت تشكل حياة الناس المخفية والابدية ، فكيف امكن بالتالي ، اولا ، انه يوجد تطور ، وثانياً ، ان السيد برودون ليس محافظاً ؟ وهذه التناقضات البيِّنة يفسرها بنظام كامل من **التناحرات** .

ولنلقي النور على نظام التناحرات هذا ، نأخذ مثلا .

الاحتكار صالح ، لأنه مقولة اقتصادية ولأنه بالتالي فيض من الاله . والمزاحمة صالحة لأنها هي ايضاً مقولة اقتصادية . اما ما هو طالح ، فهو واقع الاحتكار وواقع المزاحمة . وما هو اسوأ ، هو ان الاحتكار والمزاحمة يلتهمان احدهما الآخر . فما العمل ؟ بما ان هاتين الفكرتين السرمديتين من افكار الاله تتناقضان ، فانه يبدو للسيد برودون من الجليّ انه يوجد كذلك في حضن الاله مركّب من هاتين الفكرتين توازن فيه المزاحمة شر الاحتكار ، و vice versa * . اما عاقبة الصراع بين هاتين الفكرتين ، فانها ستكون ظهور جانبهما الصالح فقط . فينبغي انتزاع هذه الفكرة السرية من الاله ، ثم تطبيقها ، فيغدو كل شيء على ما يرام . ينبغي ايجاد الصيغة المركبة المخفية في ظلمة عقل البشرية اللامشخَّص . ودون التردد دقيقة واحدة ينبري السيد برودون بوصفه الشخص الذي يفض هذا السر .

ولكن لنلق نظرة خاطفة الى الحياة الفعلية . فانت لا تجد في الحياة الاقتصادية المعاصرة المزاحمة والاحتكار وحسب ، بل تجد كذلك جميعتهما ، وهذه الجميعة ليست **صيغة** بل **حركة** . فالاحتكار يولد المزاحمة ، والمزاحمة تولد الاحتكار . ولكن هذه المعادلة لا تقضي على مصاعب الوضع الراهن ، كما يتصور الاقتصاديون البرجوازيون ، بل تخلق في النتيجة وضعاً اشد عسراً واكثر غموضاً وتشوشاً . وهكذا بتغييرك الاساس الذي ترتكز عليه العلاقات الاقتصادية العصرية ، وبقضائك على **اسلوب** الانتاج العصري ، لا تقضي على المزاحمة والاحتكار وتناحرهما وحسب ،

---

* — والعكس بالعكس . **الناشر** .

بل تقضي ايضاً على وحدتهما ، على جميعتهما – اي على الحركة التي يجري فيها بالذات التوازن الفعلي بين المزاحمة والاحتكار .

والآن اقدم لك نموذجاً من ديالكتيك السيد برودون .

الحرية والعبودية تشكلان تناحراً . ولا داعي لي الى الكلام لا عن جوانب الحرية الصالحة ولا عن جوانبها الطالحة . امـــا العبودية ، فلا حاجة الى الكلام عن جوانبهـــا الطالحة . والشيء الوحيد الذي ينبغي توضيحه ، هو الجانب الصالح من العبودية . والمقصود هنا ليس العبودية غير المباشرة ، ليس عبوديـــة البروليتاريا . المقصود هنا العبودية المباشرة ، عبودية الزنوج في سورينام والبرازيـــل وفي المناطق الجنوبيـــة من اميركا الشمالية .

ان العبودية المباشرة هي اساس صناعتنا العصرية ، شأنها شأن الآلات والتسليف ، الخ . . فلا قطن بدون العبودية ، ولا صناعة عصرية بدون القطن . والعبودية جعلت للمستعمرات قيمة ، والمستعمرات خلقت التجارة العالمية ، والتجارة العالميـــة هي الشرط الضروري للصناعة الآلية الكبيرة . وقبل ظهور التجارة بالزنوج ، كانت المستعمرات تعطي العالم القديم قدراً قليلا جداً من المنتوجات ، ولم تغير وجه العالم تغييراً ملحوظاً نوعاً ما . وهكذا تكون العبودية مقولة اقتصادية هائلة الشأن . فلولا العبودية ، لكانت تحولت اميركا الشمالية ، البلد الاكثر تقدماً ، الى بلد بطريركي . امحوا اميركا الشمالية وحدها من خريطة العالم ، تحصلوا على الفوضى وتدهور التجارة والحضارة العصرية تدهوراً تاماً . ولكن القضاء على العبودية من شأنه ان يعني في هذه الحال ان اميركا تنمحي من خريطة العالم . وهكذا نجد العبودية عنـد جميع الشعوب منذ خلق العالم ، وذلك على وجه الضبط لكونها مقولة اقتصادية . وكل ما استطاعته الشعوب العصرية ، هو تمويه العبودية عندها بالذات وتطبيقها على المكشوف في العالم الجديد . فما عسى ان يفعل السيد برودون الفائق الطيبة بعد هذه الآراء في العبودية ؟ انه سيفتش عن جميعة للحرية والعبودية ، عن

وسط ممتاز حقـــاً ، اي ، بتعبير آخر ، عن التـــوازن بين العبودية والحرية .

ان السيد برودون فهم جيداً جداً ان الناس ينتجون الجوخ والجنفاص والقماش الحريري ، وليست تلك بمأثرة كبيرة ان يفهم المرء مثل هذه القلة من الامور ! ولكن مـــا لم يفهمه السيـــد برودون ، هو ان الناس ينتجون وفقـــاً لقواهم المنتجة **علاقات اجتماعية** ينتجون في ظلها الجوخ والجنفاص . وفهم السيد برودون فهماً اقل ان الناس ، اذ ينتجون العلاقات الاجتماعية وفقاً لانتاجهم المادي ، يخلقون كذلك **افكاراً ومقولات** ، اي تعابير مجردة ، فكرية عن هذه العلاقات الاجتماعية ذاتها . وهكذا قلّما تكون المقولات ابدية ، شأنها في هذا شأن العلاقات التي هي تعبير عنها . فالمقولات منتوجات تاريخية وعابرة . اما السيد برودون ، فالامر بالعكس تماماً في نظره ؛ فان التجريدات ، المقولات هي السبب الاوليّ . وهو يرى انها هي التي تصنـــع التاريخ ، لا البشر . ان **التجريد ، المقولة ، مأخوذاً بصفته هذه** ، اي بمعزل عن البشر ونشاطهم المادي ، هو ، بالطبع ، خالد ، ثابت لا يتغير ولا يتحرك . وهو لا يعدو ان يكون وليد العقل الصافي ، وهذا يعني بكـــل بساطة ان التجريد بحد ذاته هو مجرد . فيـــا **للتكرار** البديع !

وعليه ، ان العلاقات الاقتصادية مدروسة بشكل مقولات ، هي بنظر السيد برودون ، صيغ سرمدية لا منشأ لها ولا تطور .

وبتعبير آخر نقول ان السيد برودون لا يؤكد مباشرة ان **الحياة البرجوازية** هي بنظره **حقيقة سرمدية** ، بـــل يؤكد هذا بصورة غير مباشرة ، بتأليهه المقولات التي تعبر بشكل الافكار عن العلاقات البرجوازية . وبما ان منتوجات المجتمع البرجوازي تبدو له بالاحرى بشكل مقولات التفكير ، فهو يعتبرها كائنات سرمدية انبثقت من تلقاء ذاتها ، وتملك حياة خالدة . فهو اذن لا يتخطى حدود الافق البرجوازي . وبمـــا انه يتنـــاول افكاراً برجوازية ، ويعتبرها حقائق سرمدية ، فانه يفتش عن جميعة لهذه

الافكار ، عن توازن لها ، ولا يرى ان الاسلوب العصري لتوازنها هو الاسلوب الوحيد الممكن .

وهو من حيث جوهر الامر يفعل ما يفعله جميع البرجوازيين الطيبين . فانهم جميعهم يقولون لكم ان المزاحمة والاحتكار ، الخ . ، هي من حيث المبدأ ، اي اذا أُخذت كمفاهيم مجردة ، الاسس الوحيدة للحياة ، ولكنها تحمل في الواقع على تمني الكثير . وجميعهم يريدون المزاحمة بدون عواقبها الوخيمة . وجميعهم يريدون المستحيل ، اي ظروف الحياة البرجوازية بدون العواقب الضرورية الناجمة عن هذه الظروف . وجميعهم لا يدركون ان اسلوب الانتاج البرجوازي هو شكل تاريخي وعابر مثلما كان الشكل الاقطاعي عابراً . ان هذا الخطأ ينبع من ان الانسان البرجوازي هو بنظرهم الاساس الوحيد للمجتمع ، كل مجتمع ، من انهم لا يتصورون نظاماً اجتماعياً لا يكون فيه هذا الانسان برجوازياً .

ولهذا كان السيد برودون ، بلا مناص ، **عقائدياً جامداً** . فان الحركة التاريخية التي تحدث انقلاباً في العالم المعاصر ، تتلخص بنظره في مهمة اكتشاف التوازن الحقيقي بين فكرتين برجوازيتين ، اكتشاف جميعة هاتين الفكرتين . وهكذا يكتشف هذا الفتى الفطن بالحيلة فكرة الاله السرية ، ووحدة فكرتين منفصلتين ليستا منفصلتين الا لأن السيد برودون يفصلهما عن الحياة العملية ، عن الانتاج المعاصر ، الذي هو جمع للوقائع التي تعبر عنها هاتان الفكرتان . وعوضاً عن الحركة التاريخية العظيمة التي تولد من النزاع بين القوى المنتجة التي اكتسبها الناس وبين علاقاتهم الاجتماعية التي لم تعد تتطابق مع هذه القوى المنتجة ؛ وعوضاً عن الحروب الرهيبة التي تهيأ بين مختلف الطبقات في امة واحدة وكذلك بين مختلف الامم ؛ وعوضاً عن نشاط الجماهير العملي والثوري الذي سيتمكن وحده دون غيره من فض هذه الاصطدامات ، — عوضاً عن هذه الحركة الرحبة والمديدة والمعقدة ، يقدم السيد برودون حركة بدائية

[mouvement cacadauphin] تجري في رأسه . وهكذا فالتاريخ يصنعه علماء ، اناس بوسعهم ان يختطفوا من الاله فكرته الحميمة . اما الشعب البسيط ، فينبغي عليه فقط ان يطبق كلامهم المنزل في الواقع .

وانك لتفهم الآن لماذا كان السيد برودون عدواً لدوداً لكل حركة سياسية . فان حل القضايا المعاصرة يتلخص ، بنظره ، لا في العمل الاجتماعي ، بل في الدورات الديالكتيكية الجارية في رأسه . وبما ان المقولات هي ، بنظره ، القوى المحركة ، فلا داعي الى تغيير الحياة العملية من اجل تغيير المقولات . فالامر بالعكس تماماً . يجب تغيير المقولات ، ونتيجة لهذا يتغير المجتمع القائم .

ورغبة في التوفيق بين التناقضات ، يتجنب السيد برودون تماماً السؤال التالي : ألا ينبغي نسف هذه التناقضات من الاساس بالذات ؟ وهو يشبه في كل شيء عقائدياً جامداً سياسياً يرغب في الحفاظ في آن واحد على الملك ومجلس النواب ومجلس الشيوخ كاجزاء لا تتجزأ من الحياة الاجتماعية ، كمقولات سرمدية . وهو لا يفعل غير ان يفتش عن صيغة جديدة لكي يوازن بين هاتين القوتين اللتين يقوم توازنهما على وجه الضبط في الحركة المعاصرة حيث تكون احدى هاتين القوتين تارة هي الظافرة وطوراً عبدة للاخرى . ففي القرن الثامن عشر ، مثلا ، حاولت كثرة من الرؤوس المتوسطة الذكاء ان تجد صيغة صحيحة لكي توازن بين الفئات الاجتماعية والنبلاء والملك والبرلمانات ، الخ . ، واذا بها تستفيق في اليوم التالي فلا تجد لا الملك ولا البرلمانات ولا النبلاء . لقد كان الاسلوب الصحيح لتوازن هذا التناحر نسف جميع العلاقات الاجتماعية التي كانت اساس هذه المؤسسات الاقطاعية واساس التناحر بين هذه المؤسسات الاقطاعية .

وبما ان السيد برودون يضع ، في جانب ، الافكار السرمدية ، مقولات العقل الخالص ، وفي جانب آخر ، الناس وحياتهم العملية

التي هي ، بنظره ، تطبيق لهذه المقولات ، فانك تجد عنده بادئ ذي بدء **الاثنينية** بين الحياة والافكار ، بين الروح والجسد ، – وهي اثنينية تتكرر في اشكال مختلفة . وانك لترى الآن ان هذا التناحر لا يعدو ان يكون مجرد عجز السيد برودون عن فهم اصل المقولات التي يؤلهها وعن فهم تاريخها العادي .

لقد استطالت رسالتي اكثر من اللزوم ، ولذا لم يبق بامكاني ان اتناول حملات السيد برودون المضحكة على الشيوعية . ولكنك توافق معي على ان المرء الذي لم يفهم وضع المجتمع في الظرف الراهن أعجز ايضاً عن فهم الحركة التي تسعى الى تدمير هذا المجتمع وعن فهم التعابير الادبية لهذه الحركة الثورية .

ان **النقطة الوحيدة** التي اتفق فيها كلياً مع السيد برودون ، هي اشمئزازه من العاطفية الاشتراكية . فقبله استثرت ضدي عداوة كبيرة بسخري من الاشتراكية البليدة ، العاطفية ، الطوباوية . ولكن ألا يخلق السيد برودون نفسه لنفسه اوهاماً غريبة حين يعارض بعاطفيته كبرجوازي صغير ، – واقصد بياناته بصدد العائلة والحب الزوجي وجميع ابتذالاته ، – العاطفية الاشتراكية التي هي ، عند فوريه مثلا ، اعمق بكثير من غثاثات صاحبنا الطيب برودون الدعية ؟ وهو نفسه يشعر بتفاهة حججه وبعجزه التام عن الكلام عن جميع هذه الاشياء ، ويشعر بهما جيداً الى حد انه ينسى نفسه فجأة ويتملكه الغيظ ، وفي irae hominis probi * يشرع يزعق ويرغي ويزبد ويشتم ، ويفضح ، ويتهم ، ويلعن ويضرب صدره ويتبجح امام الرب والبشر انه نقي من الرذائل الاشتراكية ! انه لا ينتقد العاطفية الاشتراكية او ما يعتبره عاطفية . وهو ، مثل القديس ، مثل البابا ، يلقي الحرم على الخطأة المساكين ويمجد البرجوازية الصغيرة واوهام الموقد البيتي الغرامية والبطريركية الحقيرة . وهذا ليس من قبيل الصدفة . فان السيد برودون من رأسه الى

* – الغيظ النبيل . **الناشر .**

اخمص قدميه فيلسوف واقتصادي البرجوازية الصغيرة . **والبرجوازي الصغير** في مجتمع متطور يصبح ، بحكم وضعه بالذات ، من جهة اشتراكياً ، ومن جهة اخرى اقتصادياً ، اي ان أبهة البرجوازية الكبيرة تبهره ، وانه يعطف على آلام الشعب . وهو في آن واحد البرجوازي والشعب معاً . وهو يعتز في اعماق نفسه بأنه غير متحيز وبأنه وجد التوازن الصحيح الذي يدعي بالتميز عن الوسط الممتاز . ومثل هذا البرجوازي الصغير يؤله **التناقض** لأن التناقض هو اساس جوهره . وهو نفسه لا يعدو ان يكون تجسيداً للتناقض الاجتماعي . ويجب عليه ان يبرر في النظرية ما هو عليه في الواقع العملي ، ومأثرة السيد برودون انه المعبر العلمي عن البرجوازية الصغيرة الفرنسية ؛ وانها لمأثرة فعلية لأن البرجوازية الصغيرة هي جزء لا يتجزأ من جميع الثورات الاجتماعية المقبلة .

واني اود لو تسنح لي الفرصة لأرسل لك مع هذه الرسالة كتابي عن الاقتصاد السياسي (٥٥) ، ولكني لم افلح حتى الآن لا في طبع هذا العمل ، ولا في طبع نقدي للفلاسفة والاشتراكيين الالمان * الذي حدثتك عنه في بروكسل . وليس بوسعك ان تتصور اي مصاعب يصطدم بها هذا الطبع في المانيا ، اولا من قبل البوليس ، وثانياً من قبل الناشرين الذين هم انفسهم ممثلون ذوو مصلحة لجميع التيارات التي احمل عليها . اما فيما يخص حزبنا ، فهو ليس فقيراً وحسب ، بل ان قسماً كبيراً من اعضاء الحزب الشيوعي الالماني غاضبون عليّ فضلا عن ذلك لأني اعارض طوباوياتهم وبياناتهم الطنانة . . .

صدرت للمرة الاولى بلغتها الاصلية في كتاب : «م . م . ستاسوليفتش ومعاصروه في مراسلاتهم» . المجلد ٣، سانت-بطرسبورغ ، ١٩١٢

تصدر حسب نص الكتاب . كتب باللغة الفرنسية

* **كارل ماركس وفريدريك انجلس** . «الايديولوجية الالمانية» . **الناشر .**

من ماركس
الى يوسف فيديماير

في نيويورك

لندن ، ٥ آذار (مارس) ١٨٥٢

. . . وفيما يخصني ، ليس لي لا فضـــل اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع المعاصر ولا فضـــل اكتشاف النضال فيما بينها . فقد سبقني بوقت طويل مؤرخون برجوازيون بسطوا التطور التاريخي لهذا النضال بيـــن الطبقات ، واقتصاديون برجوازيون بسطوا تركيب الطبقات الاقتصادي . وان الجديـد الذي اعطيته يتلخص في اقامة البرهان عـلى ما يأتي : ١ – ان **وجود الطبقات** لا يقترن الا **بمراحل تاريخية معينـة من تطور الانتاج** ، ٢ – ان النضـال الطبقـي يفضي بالضرورة الى **ديكتاتورية البروليتاريا** ، ٣ – ان هـذه الديكتاتورية نفسها لا تعني غير الانتقال الى **القضاء على كل الطبقات** والى **المجتمع الخالي من الطبقات . . .**

صدرت بنصها الكامـل للمرة الاولى في مجلـة «Jungsozialistische Blätter» ١٩٣٠

تصدر حسب المخطوطـة . كتبت باللغة الالمانية

من ماركس
الى لودفيغ كوغلمان

في هانوفر

لندن ، ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٧١

. . . امس تلقينا نبأ لا يطمئن مفاده ان لافارغ (لا لورا) موجود في الوقت الحاضر في باريس .

واذا القيت نظرة الى الفصل الاخير من كتابي «الثامن عشر من برومير» * رأيت اني اعلنت ان المحاولة التالية التي ستقوم بها الثورة الفرنسية ينبغي ان تتلخص فيما يلي : لا ينبغي نقل الآلة البيروقراطية العسكرية من يد الى يـــد ، كما حدث حتى الآن ، بل **تحطيمهـا** ، وهذا هو على وجـه التدقيق الشرط المسبق لكل ثورة شعبية فعلية في القارة . وفي هذا بالذات تقوم محاولة رفاقنا الباريسيين البواسل . ايـــة مرونة ، اية مبادرة تاريخية ، ايـــة مقدرة على التضحية بالنفس عنـــد هؤلاء الباريسيين ! فبعد مجاعة دامت ستة اشهر وبعد خراب تسببت به الخيانة الداخلية اكثر بكثير مما تسبب به العـدو الخارجي ، ينتفضون تحت الحراب البروسية ، كأنما لم تدر رحـى الحرب بين فرنسا والمانيا ، وكأن العدو لم يكـــن واقفاً على ابواب باريس ! ان التاريخ لا يعرف بعد مثالا عـــلى البطولة كهذا المثال ! واذا ما غُلبوا على امرهم ، فلن يكون الذنب في ذلـك غير «شهامتهم» . فقد كان ينبغي الزحف فوراً على فرساي ، مـا ان فر فينوا من باريس ، وفي اثره القسم الرجعي من الحرس الوطني الباريسي . لقد فُوِّتت الفرصة بسبـب الضميـــر

---

* راجع هذه الطبعة ، الجزء الاول ، ص ٢٤٨–٢٦٨ . **الناشر .**

الحي . فلم يريدوا **البدء بالحرب الاهلية** كأن الحرض المسيخ تيير لم يكن قد بدأ بالحرب الاهليـــــة بمحاولته نزع سلاح باريس ! الخطأ الثاني : ان اللجنة المركزية (٥٦) قد تنازلت عن صلاحياتها عاجلا جداً لكي تخلي المكان للكومونة . ومن جديد بفضل «الاستقامة» المدفوعة الى حد القلق المفرط ! ومهما يكن من امر ، فان الانتفاضة الباريسية الحاليـــة ، حتى ولو قضى عليها ذئاب المجتمع القديم وخنازيره وكلابـــه السافلة ، هي امجد مأثرة قام بها حزبنا منـــذ انتفاضة حزيران (يونيو) في باريس . فليقارنوا بهؤلاء الباريسيين المستعدين لمهاجمـــة السماء عبيد الامبراطورية الرومانية المقدسة الالمانية البروسية بمساخرها من قبل الطوفان التي تفوح منها رائحـــة الثكنات والكنيسة واليونكر ، وتفوح منها ، اشد ما تفوح ، رائحة التفاهة وضيق الافق .

وللمناسبة . وردت في **الطبعة الرسميـــة** لوثائق المعونات المالية المقدمة مباشرة من خزينة لويس بونابرت اشارة الى ان **فوغت** قبض في آب (اغسطس) ١٨٥٩ مبلغ ٤٠٠٠٠ فرنـــك ! وقد ابلغت ليبكنخت هذا الامر لكي يستفيد منه في المستقبل .

بوسعك ان ترسل اليّ هاكستهاوزن (٥٧) ، لأني اتلقى في **الآونة الاخيرة** بدون ضياع مختلـف الكراريس وما شاكلها ، لا من المانيا وحسب ، بل حتى من بطرسبورغ ايضاً .

شكراً على ارسال مختلف الجرائد (ارجـــو ارسال المزيد منها ، لأنى اريد ان اكتب شيئاً ما عن المانيا والريخستاغ وما الى ذلك) .

صدرت للمرة الاولى مـع اختصارات في مجلـــة «Die Neue Zeit» ، المجلـــد الاول ، العـــدد ٢٣ . شتوتغارت ، ١٩٠١–١٩٠٢ . صدرت بنصها الكامل باللغة الروسيـــة في كتاب «رسائـــل ماركس الى كوغلمان» ، عام ١٩٢٨

تصدر حسب المخطوطـــة . كتبت باللغة الالمانية

من ماركس
الى لودفيغ كوغلمان

في هانوفر

لندن ، ١٧ نيسان (ابريل) ١٨٧١

تلقيت رسالتك . انا في الوقـــت الحاضر مشغول لما فوق رأسي . لهذا بضع كلمات فقط . فانا لا افهم البتة كيف يمكنك ان تشبه مظاهرات البرجوازييـــن الصغار à la ١٣ حزيران (يونيو) عام ١٨٤٩ (٥٨) وخلافها بالنضال الحالي في باريس .

قد يكون من السهل جداً ، بالطبع ، صنع تاريخ العالم لـو كان النضال لا يقوم الا ضمـــن ظروف تؤدي حتماً الى النجاح . ومن جهة اخرى ، قد يتسم التاريخ بطابع صـوفي جداً لو كانت «الصدف» لا تضطلع باي دور . فان هـــذه الصدف تدخل هي ذاتها ، بالطبع ، كجزء لا يتجـــزأ ، في المجرى العام للتطور وتوازنها صدف اخرى . ولكن التسارع والتباطؤ رهـن بمقدار كبير بهذه «الصدف» التي ترد بينهـــا ايضاً «صدفة» مثل طبع الناس الذين يقفون في البدء على رأس الحركة .

وهذه المرة لا يجـــب البحث باي حال من الاحوال عـــن «الصدفة» الحاسمة غير الملائمـــة في ظروف المجتمع الفرنسي العامة ، بل يجب البحث عنها في وجود البروسيين في فرنسا ، في وقوفهم على ابواب باريس بالذات . وهذا ما كـان الباريسيون يعرفونه جيداً . وهذا ما كان يعرفه ايضاً الاوباش الفرساليون البرجوازيون . ولهذا وضعوا امام الباريسيين حليـــن لا ثالث

لهما : اما قبول التحدي الى النضال ، وامل الاستسلام بـــلا نضال . ولو تحقق الحل الثاني ، لكان تفسخ معنويات الطبقـــة العاملة كارثة اعظم بكثير من خسارة اي عدد كان من «الزعماء» . وبفضل كومونة باريس ، دخل نضال الطبقة العاملة ضد طبقـة الرأسماليين ودولتها في مرحلة جديدة . وايا يكن مآل القضية المباشر هذه المرة ، فقد تم الظفر مع ذلك بنقطة انطلاق جديدة ذات اهمية تاريخية عالمية .

صدرت للمرة الاولى مـع اختصارات في مجلـة «Die Neue Zeit» ، المجلـد الاول ، العـــدد ٢٣ . شتوتغارت ، ١٩٠١ـ١٩٠٢ . صدرت بنصها الكامل باللغة الروسيـــة في كتاب «رسائل ماركس الى كوغلمان» ، عام ١٩٢٨

تصدر حسب المخطوطـة . كتبت باللغة الالمانية

من ماركس
الى فريدريك بولته

في نيويورك

لندن ، ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧١

. . . لقد اسست **الاممية** بغية الاستعاضـــة عن الشيـــع الاشتراكية ونصف الاشتراكية بمنظمة حقيقية للطبقة العاملة من اجل النضـــال . وان النظـــام الداخلي الاولي * والبيـــان

* **كارل ماركس** . «النظام الداخلي الموقت للجمعية» . **الناشر** .

التأسيسي * يشيران فوراً الى هذا . ومن جهة اخرى ، ما كان في وسع الاممية ان تترسخ ، لو لم يكن مجرى التاريخ قد حطم التشيع . ان تطور التشيـــع الاشتراكي وتطور الحركة العمالية الحقيقية هما مناقضان دائماً احدهما للآخر . وليس للشيع مبرر (تاريخي) الا طالمـــا لم تنضج الطبقة العاملة لأجـــل التحرك التاريخي المستقل . وما ان تبلغ حد النضـــج هذا حتى تمسي جميع الشيع رجعية من حيث جوهر الامـــر . وفضلا عن ذلك ، تكرر في تاريخ الاممية نفس ما يتكشف دائماً في التاريـخ . فان ما شاخ يحاول ان يتجدد ويترســـخ في اطار الاشكال المنبثقة حديثاً .

ان تاريخ الاممية كان ايضاً عبارة عن **نضال مستمر خاضه المجلس العام** ضد الشيع وضد محاولات الهوايـة المبتذلة التي سعت الى التوطد داخل الاممية ذاتها خلافاً للحركة الحقيقية للطبقة العاملة . وقد جرى هـــذا النضال في **المؤتمرات** ، كما جرى بمقدار اكبر عـــن طريق المفاوضات غير العلنية بيـــن المجلس العام ومختلف الفروع .

وبما ان البرودونيين (الموتويليين) (٥٩) كانوا في باريس في عداد مؤسسي الجمعية ، فمن الطبيعي ان يكونوا قد وقفـــوا هناك في السنوات الاولى على رأس الحركة . وفيما بعد ، تشكلت مقابلهم ، هناك ايضاً ، بالطبع ، فرق جماعية ووضعية وغيرها من الفرق .

في المانيا – زمرة اللاساليين . وانـــا نفسي تراسلت في غضون سنتين مع شفيتسر الذائع الصيت ، وبرهنت له بما لا يقبل الجدل ان المنظمة اللاسالية منظمة متشيعة محضة ، وانها ، بصفتها هذه ، معادية لتنظيم الحركة العمالية **الحقيقية** الذي تسعى الاممية وراءه . ولكن كان له «مبرره» لكي لا يفهم هذا .

* **كارل ماركس** . «البيان التأسيسي لجمعية الشغيلة العالمية» . **الناشر** .

في اواخر ١٨٦٨ ، انتسب الروسي باكونين الى **الاممية** لكي ينشئ في قلبها ، **تحت قيادته بالذات ، اممية ثانية** اسمها «**حلف الديموقراطية الاشتراكية**» (٦٠) . وقد ادعى ، وهو الذي لا يملك اي معارف نظريـــة ، بان يكون في هذه المنظمة الخاصة ممثل الدعاية **العلمية** للاممية ويجعل من هذه الدعاية اختصاصاً تختص به هذه **الاممية** الثانية **داخل الاممية** .

كان برنامجه عبارة عن خليط من الافكار المأخوذة بصورة سطحية من هنا وهناك – **المساواة بين الطبقات** (!) ، **الغاء حق الوراثة** بوصفـه **نقطة انطلاق** الحركة الاجتماعية (نفايـــات سان سيمونية) ، **الالحاد** المفروض على اعضاء الاممية بوصفه **عقيدة** ، الخ . ؛ اما العقيدة الرئيسية **(على النمط البرودوني)** فهي **الامتناع عن الاشتراك في الحركة السياسية** .

ان حكايات الاطفال هذه قد لقيت قبولا وديـــاً (ولا تزال تلقاه الآن بدرجة معينة) في ايطاليـــا واسبانيا حيث المقدمات الفعلية للحركة العمالية قلّما تطورت حتى الآن ، وكذلك بين بعض العقائديين الفارغين ، المدعين ، المغرورين ، في سويسرا الرومانية وفي بلجيكا .

ان السيد باكونين كان ولا يزال يرى في مذهبه (وهو هراء يتألف من مقاطع منتزعـــة من مؤلفات برودون وسان سيمون وغيرهما) قضية من المرتبة الثانية ، مجرد وسيلة لأجل تعظيمه بالذات . ولكن اذا كان في الحقـل النظري صفراً ، فهو في حقل التآمر من ارابه .

فقد اضطر المجلس العام طوال سنوات الى النضال ضد هذا التآمر (الذي حظي ، لدرجة معينة ، بتأييد البرودونيين الفرنسيين ولا سيما في **فرنسا الجنوبية**) . واخيراً سدد بقرارات الاجتماع الموسع – القرارات الاول والثاني و IX ، XVI ، XVII – ضربة هيأها من زمان (٦١) .

وغني عن البيان ان المجلس العام لن يدعم في اميركا مـا يناضل ضده في اوروبا . فان القرارات الاول والثاني والثالث

و IX تعطي الآن لجنة نيويورك سلاحاً شرعياً لأجل وضع حد لكل تشييع ولكل فرق الهواية المبتذلة ، ولأجل طردها عنـــد الاقتضاء . . .

. . . وبديهي ان للحركة السياسية للطبقة العاملة هدفها النهائي ، وهو الظفر بالسلطة السياسية في صالحهـــا ؛ ولهذا الغرض ، لا بدّ بالطبع من تنظيم تحضيري للطبقة العاملة يبلغ درجة معينة من التطور ، وينبثق ويتنامى من النضال الاقتصادي نفسه .

اما من الجهة الاخرى ، فان كل حركة تضاد فيهـــا الطبقة العاملة ، بوصفها **طبقة** ، الطبقـــات السائدة ، وتجهد للتغلب عليها بالضغط من الخارج ، انمـــا هي حركة سياسيـة . فان السعي ، مثلا ، بواسطة الاضرابات وخلافهـا ، الى اكراه بعض الرأسماليين في مصنع من المصانـــع او حتى في فرع من فروع الصناعة الى تقصير وقت العمل ، انما هو حركة اقتصادية بحتة ؛ اما الحركة التي تستهدف الاجبار على اصدار **قانون** بيوم العمل من ثماني ساعات ، والخ . ، فهي بالعكس حركة **سياسية** . وهكذا تنشأ في كل مكان ، من حركات العمال الاقتصادية المتفرقة ، حركة **سياسية** اي حركة **طبقة** تسعى وراء تحقيق مصالحها في شكل عام مشترك ، اي في شكل يتسم بقوة القانون بالنسبة للمجتمع كله . واذا كانت هذه الحركات تفترض بعض التنظيم التحضيري ، فانها من جهتها ، وبالقدر نفسه ، وسيلة لتطوير هذا التنظيم .

وحيث لم تحرز الطبقة العاملة بعد مـا يكفي من النجاح في تنظيمها لأجل القيام بزحف حاسم على السلطة الجماعية ، اي على السلطة السياسية للطبقات السائدة ، ينبغي في كل حال اعدادها لهذا الغرض عن طريق التحريض الدائب ضد هذه السلطة واتخاذ موقف عدائي حيال سياسة الطبقات السائدة . والا بقيت الطبقة العاملة العوبة في ايدي الطبقات السائدة ، كما اثبتت ذلك ثورة ايلول (سبتمبر) في فرنسا ، وكما تثبته ، الى درجة معينـــة ،

اللعبة التي يفلح حتى الآن السيد غلادستون وشركاه في لعبها في انجلترا .

صدرت للمرة الاولى مع اختصارات في كتاب «Briefe und Auszüge aus Briefen von Joh. Phil. Becker, Jos Dietzgen, Friedrich Engels, Karl Marx und A. an F. A. Sorge und Andere». شتوتغارت ، عام ١٩٠٦

تصدر حسب المخطوطة ونص الكتاب . كتبت باللغة الالمانية

صدرت بنصها الكامل باللغة الروسية في المؤلفات الكاملة لكارل ماركس وفريدريك انجلس . الطبعة الاولى ، المجلد ٢٦ ، عام ١٩٣٥

من ماركس الى اوغست بيبيل

في غوبرتوسبورغ

لندن ، ٢٠ حزيران (يونيو) ١٨٧٣

ليس غوبنر على الاطلاق ، بل رسالة يورك الى غوبنر ، ماركس ولا يسعه ان يجدها في الحال .

ليس غوبنر الاطلاق ، بل رسالة يورك الى غوبنر ، المكتوبة باسم اللجنة ، هي التي حملتنا هنا على التخوف من ان

تستغل قيادة الحزب – اللاسالية حتى مخ العظام ، مع الأسف – وجودك في السجن لكي تحول «Volksstaat» (٦٢) الى ضرب من «Neuer Social-Demokrat» (٦٣) «شريفة» . ان هذا القصد واضح تماماً من تصرفات يورك ؛ وبما ان اللجنة منحت نفسها حق تعيين المحررين واقالتهم ، فان الخطر كان ، بلا ريب ، كبيراً جداً . ثم ان نفي غوبنر العتيد اعطى امكانيات اوسع لأجل تحقيق هذه الخطط . وفي هذه الاحوال كان ينبغي لنا ان نعرف بكامل الدقة سير الامور ؛ ومن هنا هذه المراسلة . . .

اما فيما يخص موقف الحزب من اللاسالية ، ففي وسعك ، بالطبع ، ان ترى خيراً منّا اي تاكتيك يجب تطبيقه في كل حالة بمفردها . ولكنه يجب ان يؤخذ الامر التالي ايضاً بالحسبان . عندما يترتب ، كما ترتب عليك ان تنافس الى درجة معينة اتحاد العمال الالماني العام (٦٤) ، فمن السهل ان تشرع بايلاء الخصم قدراً من الانتباه اكثر من اللزوم وان تعتاد التفكير به قبل كل شيء في اي مناسبة كانت . ولكن اتحاد العمال الالمان العام وحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي ، مأخوذين معاً ، لا يشكلان بعد غير اقلية ضئيلة من الطبقة العاملة الالمانية . اما في رأينا ، الذي اكدت صحته خبرة سنوات عديدة ، فان التاكتيك الصحيح في الدعاية لا يقوم في استمالة افراد او جماعات من اعضاء منظمات الخصم ، بل يقوم في التأثير على الجماهير الواسعة التي لم تجتذب بعد الى التنظيم . فان انساناً جديداً واحداً ننتزعه بانفسنا من الحالة البدائية لأثمن من عشرة مرتدين لاساليين يحملون دائماً معهم الى الحزب عناصر من نظراتهم الخاطئة . ولو كان من الممكن كسب الجماهير وحدها بدون **زعمائها المحليين** ، لكان ذلك افضل . ولكنه يتعين دائماً ان نأخذ بالاضافة عدداً كبيراً جداً من امثال هؤلاء الزعماء المقيدين بتصريحاتهم العلنية السابقة ، ان لم يكن بآرائهم السابقة ، والذين يتوجب عليهم ، مهما كلف الامر ، ان يبينوا انهم لم يتنكروا لمبادئهم وان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يروج ، على العكس ، باللاسالية

الحقيقية . وهذا بالذات ما كان في ايزيناخ (٦٥) بلية – ربما كان لا مناص منها في ذلك الوقت – ولكن هذه العناصر اضرت الحزب بكل تأكيد ، وانا لا اعرف ما يلي : لو لم تنضم هذه العناصر الى الحزب ، هل كان الآن ، في اضعف تقدير ، اقل قوة . وعلى كل حال ، اعتبر من سوء الحظ لو تلقت هذه العناصر مدداً .

ولا يجوز لنا ان ندع الزعيق «بالاتحاد» يحيّرنا ويربكنا . فان اولئك الذين اشد ما يرفعون هذا الشعار انما هم بالذات المبادرون الرئيسيون الى الخلافات ؛ وانهم لكذلك الباكونينيون الحاليون من المنطقة السويسرية من جبال جورا ، المبادرون الى جميع الانشقاقات ، والذين يزعقون ، اشد ما يزعقون ، بالاتحاد . ان انصار الاتحاد المتعصبين هؤلاء هم إمّا اناس محدودون يرغبون في خلط كل شيء في خليط غير واضح حسبه ان يترسب حتى تبرز التناقضات من جديد بشكل احدّ ، لأن جميع هذه العناصر ستظهر آنذاك في مرجل واحد (وعندكم في المانيا مثال ممتاز بشخص السادة **الذين** يروجون بالتوفيق بين العمال وصغار البرجوازيين) ، وإمّا اناس يرغبون عن غير وعي (ميولبرغر ، مثلا) او عن وعي في تزييف الحركة . ولهذا يعمد المتشيعون المدمنون وكبار الغشاشين والميالين الى المشاحنة ، في اوقات معينة ، الى الزعيق بالاتحاد باشد مما يزعق الجميع . ونحن لم نر في حياتنا من احد منغصات وحيل اكبر من التي رأيناها من دعاة الاتحاد الصياحين .

يقيناً ان كل قيادة حزبية تسعى وراء النجاح ، وهذا حسن جداً . ولكنه تطرأ ظروف لا بدّ فيها من الرجولة للتضحية بالنجاح **الفوري** من اجل امور أهم . وان حزباً ، كحزبنا على الاخص ، الذي نجاحه النهائي مضمون اطلاقاً والذي نما في زمننا وامام عيوننا نمو العمالقة ، لا يحتاج البتة دائماً وبلا قيد ولا شرط الى النجاح الفوري . خذ ، مثلا ، الاممية (٦٦) . لقد احرزت نجاحاً هائلا بعد الكومونة . واذا البرجوازيون ، كأنما أَصَمَّتهم العاصفة ، يعلنون انها كلية الجبروت . وظنت الاغلبية الساحقة

من اعضاء الاممية ان هذا الحال سيستمر الى الابد . ولكننا كنا نعرف بكل وضوح انه **لا بدّ** للفقاعة ان تنفقع . والتصقت النفايات من كل شاكلة ونوع بالاممية . وتواقح المتشيعون الموجودون في الاممية ، واساؤوا استغلالها ، أملا منهم في انه سيتاح لهم اقتراف اعظم الحماقات والسفالات . ولكننا لم نصبر على هذا . فقد كنا نعرف بكل وضوح انه لا بدّ للفقاعة ان تنفقع في يوم من الايام ، ولهذا بذلنا جهدنا ، لا لتأجيل الكارثة ، بل لاخراج الاممية منها نقية غير مزيفة . وقد انفقعت الفقاعة في لاهاي (٦٧) ، وانت تعرف ان اغلبية مندوبي المؤتمر قد تفرقوا وعادوا الى بيوتهم وهم في خيبة امل مريرة . والحال ، ان هؤلاء الذين خاب أملهم في ان يجدوا في الاممية المثال الاعلى للتآخي الشامل والمصالحة العامة ، قد اندفعوا جميعهم تقريباً في مشاحنة اقسى من التي احتدمت في لاهاي ! والآن يدعو المشاحنون المتشيعون الى التصالح ويصيحون باننا نحن اناس مشاكسون ، ديكتاتوريون ! ولو اننا سعينا في لاهاي وراء المصالحة ، ولو اننا حلنا دون وقوع الانشقاق ، فأياً كانت العواقب ؟ لو اننا فعلنا ذلك ، لكان المتشيعون ، واعني بهم الباكونينيون ، حصلوا على سنة اضافية من الوقت لكي يرتكبوا باسم الاممية قدراً من الحماقات والسفالات اكبر بكثير ؛ ولكان عمال اكثر البلدان تطوراً اداروا ظهورهم باشمئزاز ؛ ولما كانت الفقاعة انفقعت ، بل لكانت تقلصت ببطء بفعل وخز الدبابيس ولكان تحول المؤتمر المقبل ، الذي كان ينبغي ان تنفجر فيه الازمة مع ذلك ، الى فضيحة بين اسفل اسافل الناس ، لأنه كان ضُحِّي **بالمبدأ** في لاهاي ! ولكانت الاممية هلكت بالفعل آنذاك ، وهلكت بسبب «الوحدة» ! – وعوضاً عن هذا ، ابعدنا ، لما فيه شرفنا ، العناصر المتعفنة ، – يقول اعضاء الكومونة الذين حضروا الجلسة الاخيرة ، الحاسمة ، ان اياً من جلسات الكومونة لم تحدث في نفوسهم انطباعاً فائق العادة كالذي احدثته هذه المحاكمة بحق خونة البروليتاريا الاوروبية ، – وقد اتحنا لهم الفرصة في سياق عشرة اشهر للكذب والافتراء

والتآمر بكل ما يملكون من القوى ؛ ولكن ماذا كان الحاصل ؟ ان هؤلاء الممثلين المزعومين للاغلبية الهائلة من الاممية يصرحون الآن هم انفسهم انهم لن يتجاسروا على حضور المؤتمر المقبل (التفاصيل في مقال ارسله في آن واحد مع هذه الرسالة من اجل فولكسشتآت «Volksstaat» *) . واذا ما اضطررنا الى العمل مرة اخرى ، لما سلكنا عموماً واجمالا سلوكا آخر ؛ ولكن الاخطاء التاكتيكية هي دائماً بالطبع امر ممكن .

وعلى كل حال ، انا واثق بان خيرة العناصر من عداد اللاساليين ستقع من تلقاء نفسها في ايديكم مع ممر الزمن ؛ ولهذا ليس من الصواب قطف الثمرة قبل ان تنضج ، كما يريد ذلك انصار الاتحاد المناحيس .

وعلى كل حال ، قال هيغل العجوز في زمنه ان الحزب يبرهن على حيويته باقدامه على **الانشقاق** وبقدرته على الصمود لهذا الانشقاق (٦٨) . ان حركة البروليتاريا تمر حتماً بمختلف درجات التطور ؛ وفي كل درجة يتوقف قسم من الناس ولا يمضي الى ابعد . وهذا هو السبب الوحيد الذي يوضح لنا لماذا يتحقق «تضامن البروليتاريا» في الواقع وفي كل مكان في صورة تكتلات حزبية مختلفة يخوض بعضها ضد بعض نضال حياة او موت ، مثلها مثل الشيع المسيحية في الامبراطورية الرومانية في مرحلة اقسى الملاحقات .

كذلك ينبغي ألاّ يغيب عن بالك انه اذا كان عدد المشتركين في «Neuer Social-Demokrat» مثلا ، اكبر منه في «Volksstaat» فمرد هذا الى ان التعصب الاعمى ملازم حتماً لكل **شيعة** ، وبفضل هذا التعصب الاعمى ، — ولا سيما حيث الشيعة جديدة (كاتحاد العمال الالمان العام في شيلزفيغ-غولشتاين ، مثلا) — تحرز نجاحات فورية اكبر بكثير من النجاحات التي يحرزها حزب يمثل بكل بساطة الحركة الفعلية ،

---

* **فريدريك انجلس** . «في الاممية» . **الناشر** .

بدون اي اوهام تشيعية . ولكن التعصب الاعمى ليس طويل العمر .

انهي رسالتي ، فالبريد يوشك ان يمضي . بعجلة اكتب لك عن امر آخر : ماركس لا يستطيع ان ينصرف الى لاسال (٦٩) قبل ان تنتهي الترجمة الفرنسية (في اواخر تموز — يوليو — تقريباً) ، فضلا عن انه بأمسّ الحاجة الى الراحة لأنه مرهق جداً . . .

صدرت للمرة الاولى مع اختصارات في كتاب :

F. Engels. «Politisches Vermächtnis. Aus unveröffentlichen

تصدر حسب المخطوطة . كتبت باللغة الالمانية

صدرت بنصها الكامل باللغة الروسية في مجلة «بولشفيك» ، العدد ١٠ ، عام ١٩٣٢

من ماركس
الى ولهلم بلوس

في هامبورغ

لندن ، ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٧

. . . انا «لا اغضب» (كما يقول هينه) * وكذلك انجلس (٧٠) . فكلانا لن يدفع ، وان متليكا عتيقاً ، من اجل الشعبية . اليك ، مثلا ، برهاناً : لاشمئزازي من كل عبادة للفرد ، لم اسمح

---

* **هينه** . حلقة «الفاصل الغنائي» ، القصيدة الثامنة عشرة . **الناشر** .

يوماً طوال وجود الاممية ، بنشر الرسائل العديدة التي كانت تعترف بافضالي والتي ازعجوني بها من مختلف البلدان ، بل اني لم ارد عليها ابداً ، الا اني في حالات نادرة قرّعت مرسليها . وعندما انتسبنا انجلس وانا للمرة الاولى الى جمعية سرية للشيوعيين * ، وضعنا شرطاً لا محيد عنه ، وهو ان يشطب من النظام الداخلي (٧١) كل ما يسهم في عبادة اعاظم الرجال الخرافية (وفيما بعد ، اتبع لاسال سلوكا معاكساً تماماً) . . .

صدرت للمرة الاولى في مجلة «Der Wahre Jacob» العدد ٥٦٥ (٦) ، ١٧ آذار (مارس) ١٧ آذار (مارس) ١٩٠٨ — كتبت باللغة الالمانية

من انجلس
الى كارل كاوتسكي

في فيينا

لندن ، ١٢ ايلول (سبتمبر) ١٨٨٢

. . . انك تسألني ما هو رأي العمال الانجليز في السياسة الاستعمارية . انه تماماً نفس رأيهم في السياسة بوجه عام : اي نفس رأي البرجوازيين فيها . فلا يوجد هنا حزب عمالي ، انما يوجد فقط حزب محافظ وحزب ليبيرالي راديكالي ؛ اما العمال فانهم يتمتعون معهما بكل هدوء باحتكار انجلترا الاستعماري وباحتكارها في السوق العالمية . واني ارى ان المستعمرات بكل معنى الكلمة ، اي الاراضي التي يشغلها الاوروبيون ، وهي

* ــ عصبة الشيوعيين . **الناشر** .

كندا والكاب * واوستراليا ستغدو جميعها مستقلة ؛ اما البلدان المستعبدة فعلاً والتي يقطنها سكانها الاصليون ، الهند والجزائر والممتلكات الهولندية والبرتغالية والاسبانية ، فانه يقتضى لها ، بالعكس ، ان تأخذها البروليتاريا في يدها لفترة من الزمن وتسير بها بأسرع ما يمكن نحو الاستقلال . من الصعب القول كيف ستتطور هذه الحركة . فقد تقوم الهند بثورة بل ان هذا الامر جد محتمل ، ولما كانت البروليتاريا بسبيل التحرر لا تستطيع خوض حروب استعمارية ، فينبغي القبول بالثورة ، ومع ذلك فان الثورة لن تتم ، بالطبع ، دون شتى انواع التدمير . ولكن مثل هذا الامر ملازم لكل ثورة . وقد يجري الشيء نفسه في بلدان اخرى ايضاً ، مثلا ، في الجزائر وفي مصر ، وهذا سيكون **بالنسبة لنا** ، وبكل تأكيد ، خير حل . اذ سيترتب علينا القيام باشياء كثيرة عندنا . ان اعادة تنظيم اوروبا واميركا الشمالية توفر لنا فوراً قوة هائلة ومثالا بليغاً الى حد ان البلدان شبه المتمدنة ستسير من تلقاء نفسها وراءنا ؛ والحاجات الاقتصادية وحدها تتعهد بهذه المهمة . ولكن اية اطوار اجتماعية وسياسية يترتب على هذه البلدان اجتيازها قبل ان تبلغ ايضاً التنظيم الاشتراكي ، فهذا ما لا نستطيع اليوم ، كما اعتقد ، ان نجيب عليه الا بفرضيات لا طائل تحتها . غير ان ثمة امراً لا يقبل الشك ، هو ان البروليتاريا الظافرة لا تستطيع ان تفرض اية سعادة على شعب اجنبي دون ان تقوض بذلك انتصارها بالذات . وطبيعي ان ذلك لا ينفي ابداً قيام حروب دفاعية ذات طبيعة متنوعة . . .

صدرت للمرة الاولى بنصها الكامل باللغة الروسية في «ارشيف ماركس وانجلس» ، المجلد الاول ، (الفصل السادس) عام ١٩٣٢ — تصدر حسب المخطوطة . كتبت باللغة الالمانية

* ــ اقليم الكاب (الرجاء الصالح) في افريقيا الجنوبية . **الناشر** .

من انجلس
الى كونراد شميدت

في برلين

لندن ٥ آب (اغسطس) ١٨٩٠

. . . قرأت في مجلة «Deutsche Worte» الصادرة في فيينا نقداً لكتاب بـــاول بارت (٧٢) بقلم المنحوس موريس فيرت (٧٣) ؛ وقد ترك **هذا** النقد في نفسي انطباعاً غير مستطاب عن الكتاب نفسه ايضاً . اني سأراجعه ولكنه يجب عليّ ان اقول انه اذا كان موريس يستشهد به بصورة صحيحة ، فان بارت يزعم انه لم يستطع ان يجد في جميع مؤلفات ماركس غير مثال واحد على تبعية الفلسفة وغيرها لظروف الوجود المادية ، واعني بذلك كون ديكارت يعلن ان الحيوانات آلات . انـا ، بكل بساطة ، آسف لرجل يكتب اشياء كهذه . وبما ان هذا الرجل لمّا يفهم واقع ان كون ظروف الوجود المادية primum agens * لا ينفي ان يكون للميادين الايديولوجية بدورها تأثير مقابـــل ، ولكن ثانوي ، على هذه الظروف المادية ؛ وبما ان هذا غير واضح له ، فهو عاجز عن ان يفهم ايضاً الموضوع الذي يكتب عنه . ولكن كل هذا – واكرر قولي – ليس من المصدر الاولي ، اما موريس فهو صديق خطر . ولدى المفهوم المادي عن التاريخ الآن كثرة من امثال هؤلاء الاصدقاء الذين يشكل هذا المفهوم بالنسبة لهم ذريعة **للامتناع** عن دراسة التاريخ . ان الحال يشبه الآن تماماً ما كان عليه عندما تحدث ماركس عن «الماركسيين»

---

* ــ السبب الاول . **الناشر** .

الفرنسيين من اواخر العقد الثامن : «انـــا اعرف امراً واحداً فقط ، هو اني لست ماركسياً» .

كذلك قام في «Volks-Tribüne» (٧٤) نقاش حول توزيع المنتوجات في المجتمع المقبل : أيتحقق وفقـاً لكمية العمل ام بطريقة اخرى . وقد تناولوا المسألة بطريقة «مادية» بحتـــة ايضاً خلافاً للجمل المثالية المعروفة عن العدالة . ولكنه لم يخطر في بال احد ، مهما بدا هذا مستغرباً ، ان اسلوب التوزيع يتوقف بصورة جوهريـــة على **كمية** المنتوجات التي ينبغـــي توزيعها ، وان هذه الكمية تتغير بالطبع تبعاً لتقدم الانتاج وتنظيم المجتمع ، وانه لا بدّ بالتالي ان يتغير اسلوب التوزيع ايضاً . ولكن جميع المشتركين في النقاش لا يعتبرون «المجتمع الاشتراكي» شيئاً يتغير ويتقدم باستمرار ، بل يعتبرونه شيئاً ثابتاً ، اقيم مرة واحدة والى الابد ، وانه ينبغي له بالتالي ان يكون لديه كذلك اسلوب للتوزيع اقيم مرة واحدة والى الابد . ولكن اذا فكر المرء تفكيراً سليماً ، امكنه مع ذلك : ١ – ان يحاول البحث عن اسلوب للتوزيـع يجب **البدء** منه و٢ – ان يحاول ايجاد **الاتجاه العام** للتطور اللاحق . ولكني لا اجد اي كلمة عن هذا في النقاش كله .

ان كلمة «المادي» هي على العموم بالنسبة لكثيرين من الكتاب الشباب في المانيا كلمة بسيطة يطلقونها على كل مـا يطيب لهم ، دون ان يكلفوا انفسهم عناء الدراسة باطراد ، اي انهم يلصقون هذا النعت ويعتبرون انهم حلوا المسألة بذلك . ولكن مفهومنا للتاريخ هو في المقام الاول مرشد للدراسة ، وليس رافعاً للبناء على طريقة الهيغلية . ينبغي لنا ان ندرس التاريخ كله من جديد ، ينبغي لنا ان نبحث بالتفصيل ظروف وجود التشكيلات الاجتماعية المختلفـــة ، قبل ان نحاول ان نستخلص منها مفاهيم سياسية وحقوقية وجمالية وفلسفيـــة ودينية وما الى ذلك ، مناسبة لها . وما تحقق في هذا المضمار حتى الآن قليل لأن عدداً قليلا جداً مـن الناس عكفوا على ذلك

بصورة جدية . ونحن في هذا المضمار بحاجة الى عون كبير ، فالميدان رحب الى ما لا نهاية ، وان من يريد ان يشتغل بصورة جدية يمكنه ان يفعل كثيراً ويبرز . ولكن عوضاً عن هذا ، لا يشكل الكلام عن المادية التاريخية (فمن الممكن تحويل **كل شيء** الى كلام بكلام) عند كثيرين من الالمان من جيل الشباب غير ذريعة لتصنيف وترتيب معارفهم التاريخية الخاصة ، القليلة جداً نسبياً (فالتاريخ الاقتصادي لا يزال بعد في الاقمطة !) باسرع ما يمكن ، وثم للاغترار بانفسهم بوصفهم من اعاظم الرجال . وآنذاك يمكن ان يظهر رجل ما من طراز بارت ويعكف على ما انحط في بيئته ، على كل حال ، الى جملة فارغة .

ولكن كل هذا سيجرى اصلاحه بالطبع . فنحن الآن في المانيا نملك من القوة ما يكفي لاحتمال الكثير . ومن اعظم الخدمات التي قدمها لنا القانون ضد الاشتراكيين (٧٥) ، انه حررنا من لجاجة الطالب الالماني الاشتراكي الصبغة : ونحن الآن نملك من القوة ما يكفي لاحتمال هذا الطالب الالماني ايضاً الذي اخذ من جديد يشمخ بأنفه كثيراً . وانت الذي فعلت شيئاً حقاً وفعلا ، لاحظت بنفسك ، اغلب الظن ، بين الادباء الشباب المرتبطين بالحزب ، اي عدد قليل منهم يكلفون انفسهم عناء دراسة الاقتصاد السياسي وتاريخ الاقتصاد السياسي ، وتاريخ التجارة والصناعة والزراعة والتشكيلات الاجتماعية . وهل هناك كثيرون منهم يعرفون عن موريز اكثر من مجرد اسمه ! لا بدّ لاعجاب الصحفي بنفسه ان يذلل كل شيء ، وهذا ما تطابقه النتائج . ان هؤلاء السادة يتصورون ان كل شيء يصلح للعمال . ولكني اود لو يعرفون ان ماركس كان يعتبر ان خيرة اعماله ليست مع ذلك جيدة بالقدر الكافي لأجل العمال ، وانه كان يعتبر تقديم شيء للعمال ليس افضل الاشياء جريمة ! . .

صدرت للمرة الاولى بنصها الكامل في مجلة «Sozialistische Monatshefte» العدد ١٨ـ١٩ ، عام ١٩٢٠

تصدر حسب المخطوطة . كتبت باللغة الالمانية

من انجلس
الى اوتو بونيغك

في بريسلافل *

فولكستون بجوار دوفر ،
٢١ آب (اغسطس) ١٨٩٠

. . . لا استطيع الجواب عن اسئلتك الا بايجاز وبالخطوط الكبرى ، والا فان الجواب عن السؤال الاول يتطلب مني كتابة بحث كامل .

١ – ان ما يسمى «المجتمع الاشتراكي» ليس ، حسبما اعتقد ، شيئاً ما اعطي مرة واحدة والى الابد ، بل ينبغي اعتباره ، مثله مثل كل نظام اجتماعي آخر ، قابلا لتغيرات وتحولات دائمة . ان ميزته الفاصلة عن النظام الحالي تقوم بالطبع في تنظيم الانتاج على اساس الملكية العامة لامة واحدة في البدء لجميع وسائل الانتاج . وانا لا ارى اي مصاعب على الاطلاق تعترض سبيل تحقيق هذا الانقلاب غداً بالذات ، اذ ان المقصود تحقيقه تدريجياً . واما ان عمالنا قادرون على هذا فتثبته جمعياتهم العديدة للانتاج والاستهلاك التي تدار حسناً مثل الشركات المساهمة البرجوازية ، بل بصورة اكثر استقامة بكثير ، حيث لم يقوضها البوليس قصداً وعمداً . ولا يسعني ان افهم كيف يمكنك الحديث عن جهل الجماهير في المانيا بعد

---

* واسمها حالياً : فروتسلاف . **الناشر** .

البرهان الساطع الذي قدمه عمالنا على نضجهم السياسي في غمرة النضال المظفر ضد القانون بشأن الاشتراكيين . واني ارى الغطرسة العلمية المزعومة عند من يسمون بالمتعلمين عقبة جدية اكبر بكثير . يقيناً انه ليس لدينا بعد العدد الكافي من التكنيكيين والمهندسين الزراعيين والمهندسين والكيماويين والمعماريين ، الخ . ، ولكن بمقدورنا في اسوأ الاحتمالات ان نشتريهم من اجلنا كما يفعل الرأسماليون ؛ واذا ما عوقب بعض الخونة – الذين سيظهرون حتماً في هذا المجتمع – العقاب اللازم عبرة لغيرهم ، فانهم سيدركون ان من مصلحتهم بالذات ان يكفوا عن سرقتنا . ولكن باستثناء هؤلاء الاختصاصيين الذين اصنف ايضاً معلمي المدارس في عدادهم ، نستطيع تماماً ان نستغني عن «المتعلمين» الباقين ؛ وعلى سبيل المثال اذكر ان تدفق الادباء والطلاب القوي الحالي على التشريع المدرسي القائم ، دفعوا الناس الى هذا الحد من الاطارات اللازمة .

واذا توفرت القيادة التكنيكية اللازمة ، يمكن بدون جهد تأجير لاتيفونديات اليونكر في شرقي نهر الالب من العمال المياومين والاجراء الزراعيين الحاليين ، ويمكن استثمارها حسب المبادئ الجماعية . اما اذا حدثت في هذه الحال تجاوزات ما ، فان المسؤولين عنها هم السادة اليونكر الذين ، رغم كل التشريع المدرسي القائم ، دفعوا الناس الى هذا الحد من التوحش .

والعقبة الكبرى سيكونها الفلاحون الصغار واولئك المتعلمون اللجوجون الفائقو الذكاء الذين يتظاهرون بانهم يعرفون كل شيء بقدر ما يقل ادراكهم لهذه المسألة .

وهكذا متى توفر العدد الكافي من الاتباع بين الجماهير ، سيكون من الممكن تحويل الصناعة الكبيرة والزراعة الكبيرة من طراز اللاتيفونديات بسرعة كبيرة الى ملكية عامة ، لأن السلطة السياسية ستكون في ايدينا . واثر هذا يأتي الباقي بدرجات

متفاوتة من السرعة او البطء . اما في ميدان الانتاج الكبير ، فاننا سنكون اسياد الوضع .

انت تتحدث عن فقدان الادراك المناسب . ان هذا واقع ، ولكنه من جانب المتعلمين المتحدرين من اوساط النبلاء والبرجوازيين ، والذين لا يتصورون حتى اي قدر كبير من الاشياء لا يزال يترتب عليهم ان يتعلموه من العمال . . .

صدرت للمرة الاولى بنصها الكامل باللغة الروسية في مجلة «مسائل تاريخ الحزب الشيوعي السوفييتي» ، العدد ٢ ، عام ١٩٦٤ ، وبلغة الاصل فى مجلة «Beiträge zur Geschichte der deutschen Arbeiterbewegung» العدد ٢ ، عام ١٩٦٤

تصدر حسب المخطوطة . كتبت باللغة الالمانية

من انجلس
الى يوسف بلوخ

في كونيغسبرغ

لندن ، ٢١ [–٢٢] ايلول (سبتمبر) ١٨٩٠

. . . وفقاً للمفهوم المادي عن التاريخ ، يشكل انتاج وتجديد انتاج الحياة الفعلية العنصر الحاسم ، **في آخر المطاف** ، في العملية التاريخية . واكثر من هذا لم نؤكد في يوم من الايام ،

لا ماركس ولا انا . اما اذا شوه احدهم هذه الموضوعة بمعنى ان العنصر الاقتصادي هو ، على حد زعمه ، العنصر الحاسم **الوحيد** ، فانه يحول هذا التأكيد الى جملة مجردة ، لا معنى لها ، ولا تدل على شيء . ان الوضع الاقتصادي انما هو الاساس ، ولكن مختلف عناصر البناء الفوقي تؤثر هي ايضاً في مجرى النضال التاريخي ، وتحدد على الاغلب **شكله** في كثير من الاحيان ؛ ونقصد بهذه العناصر : اشكال النضال الطبقي السياسية ونتائجه – النظام السياسي الذي تقيمه الطبقة الظافرة بعد كسب المعركة ، وما الى ذلك – والاشكال الحقوقية وحتى انعكاس جميع هذه المعارك الفعلية في عقول المشتركين فيها ، والنظريات السياسية والحقوقية والفلسفية ، والآراء الدينية وتطورها اللاحق وصيرورتها نهجاً من العقائد . وجميع هذه العناصر تتفاعل ، وفي هذا التفاعل تشق الحركة الاقتصادية لنفسها في آخر المطاف ، بوصفها حركة ضرورية ، طريقاً عبر كثرة لا عد لها من الصدف (اي من الاشياء والاحداث التي صلتها الداخلية بعيدة او عسيرة البرهان الى حد انه يمكننا اهمالها واعتبارها غير موجودة) . والا كان تطبيق النظرية على اي من المراحل التاريخية اسهل من حل معادلة بسيطة من المرتبة الاولى .

نحن نصنع تاريخنا بانفسنا ، ولكننا ، اولا ، نصنعه في ظل مقدمات وظروف محددة جداً ، الاقتصادية منها هي الحاسمة في آخر المطاف . ولكن الظروف السياسية وغيرها ، وحتى التقاليد التي تعيش في رؤوس الناس ، تلعب هي ايضاً دوراً معيناً ، وان لم يكن الدور الحاسم . فان الدولة البروسية قد نشأت وتطورت كذلك بفضل اسباب تاريخية ، واقتصادية في آخر المطاف . ولكن هل يسع المرء ، ان لم يكن دعياً ، ان يزعم ان براندنبورغ بالذات كانت معدة بين الدويلات الصغيرة الكثيرة في المانيا الشمالية للقيام بدور دولة كبرى تتجسد فيها الفوارق الاقتصادية واللغوية ، ثم الدينية منذ الاصلاح ، بين الشمال والجنوب وان هذا قد حددته سلفاً الضرورة الاقتصادية وحدها ،

بينا العناصر الاخرى لم تمارس اي تأثير (وفي المقام الاول منها ، واقع انجرار براندنبورغ الى ميدان الشؤون البولونية بفضل امتلاكها لبروسيا ، وعبر الشؤون البولونية الى ميدان العلاقات السياسية الدولية التي كانت حاسمة كذلك عند تشكيل ممتلكات البيت النمساوي) . وهل يفلح احد ، ان لم يجعل من نفسه اضحوكة ، في ان يفسر من الناحية الاقتصادية وجود كل دويلة المانية صغيرة في الماضي وفي الحاضر او منشأ تحرك الاصوات الساكنة في المانيا العليا الذي حول الانقسام الجغرافي بسبب السلسلة الجبلية الممتدة من السوديت الى تاونوس ، الى شق حقيقي يعبر المانيا بأسرها .

ثانياً ، يُصنع التاريخ بنحو تحصل معه النتيجة النهائية دائماً من تصادم كثرة من الارادات الفردية ، مع العلم ان كلا من هذه الارادات تصبح ما هي عليه بالفعل ، وذلك من جديد بفضل طائفة من الاحوال الحياتية الخاصة . وهكذا يوجد عدد لا يحصى من القوى المتشابكة ، مجموعة لا نهاية لها من متوازيات اضلاع القوى ، ومن هذا التشابك تنجم قوة مُحَصَّلة واحدة هي الحدث التاريخي . وهذه النتيجة يمكن ايضاً اعتبارها نتاج قوة واحدة تفعل فعلها ككل واحد ، **بلا وعي** ولا ارادة . ذلك ان ما يريده امرؤ يلقى المعارضة من جانب اي امرئ آخر ، وتكون النتيجة النهائية ظهور شيء لم يرغب فيه احد . وعلى هذا النحو يسير التاريخ ، كما سار حتى الآن ، اشبه بتطور طبيعي ، ويخضع ، من حيث جوهر الامر ، لنفس قوانين الحركة . ومن هذا الواقع ، وهو ان ارادات مختلف الافراد الذين يريد كل منهم ما تدفعه اليه بنيته الجسدية والظروف الخارجية ، اي الاقتصادية في آخر المطاف (او ظروفه الخاصة الشخصية او الاجتماعية العامة) – ان هذه الارادات لا تبلغ ما تريده ، بل تتمازج في شيء وسط ، في قوة مُحَصَّلة مشتركة واحدة ، – من هذا ، لا يجوز مع ذلك الاستنتاج ان هذه الارادات تساوي صفراً . بل بالعكس . فان كل ارادة تشترك في القوة المحصَّلة وتندرج فيها بالقدر نفسه .

ثم ارجوك ان تدرس هذه النظرية في مصادرها الاولى ، لا بالواسطة ، – لأن هذا ، والحق يقال ، اسهل بكثير . ان ماركس لم يكتب شيئاً لم تضطلع فيه هذه النظرية بدور . وان «**الثامن عشر من برومير لويس بونابرت**» هو ، على الاخص ، مثال بديع على تطبيق هذه النظرية . كذلك يشتمل «**رأس المال**» على كثرة من الاشارات اليها . ثم اني على حق ، اغلب الظن ، في الاشارة الى مؤلفيّ : «السيد اوجين دوهرينغ يقلب العلم» و«لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» اللذين قدمت فيهما عرضاً للمادية التاريخيـــة هو ، حسب علمي ، اكثر العروض الموجودة تفصيلا واسهاباً .

وماركس وكذلك انا مسؤولان جزئيـــاً عن كون الشباب يعلقون احياناً على الجانب الاقتصادي اهمية اكبر مما يجب . وقد اضطررنا ، اثناء الاعتراض على اخصامنـــا ، الى تأكيد المبدأ الرئيسي الذي انكروه ، ولكننا كنا دائماً لا نجد الوقت والمكان والامكانية لتقدير العناصر الباقية المشتركة في التفاعل حق قدرها . ولكن ما ان بلغت الامور حد تحليل مرحلة ما من المراحـــل التاريخية ، اي حد التطبيق العملي ، حتى تغير الحال ، ولم يبق من الممكن هنا ان يقع اي خطأ . ولكن ، مع الاسف ، يعتقدون في غالب الاحيان انهم فهموا النظريـــة الجديدة فهماً تاماً وان بوسعهم تطبيقها على الفور ما ان يستوعبوا موضوعاتها الاساسية ، مع العلم انهم لا يستوعبونها دائماً بصورة صحيحة . وعلى هذا استطيع ان الوم كثيرين من «الماركسيين» الجدد ؛ اذ انه بفضل هذا ايضاً نشأ تشوش مدهش . . .

صدرت للمرة الاولى في مجلـة «Der Sozialistische Akademiker» العـدد ١٩ ، عام ١٨٩٥

تصدر حسـب المخطوطة . كتبت باللغة الالمانية

من انجلس
الى كونراد شميدت

في برلين

لندن ، ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٠

عزيزي شميدت !

استغل اول دقيقة حرة لكي اجيبك . اني اعتقد انك تسلك سلوكا صحيحاً اذا قبلت اقتراح «Züricher Post» (٧٦) . ففي وسعك ان تتعلم هناك شيئاً ما في ميدان الاقتصاد ، ولا سيما اذا لم يغب عن بالك ان زوريخ ليست غير سوق للنقود والمضاربة من المرتبة الثالثة ، ولهذا تضعف جميع الانطباعات الناجمة هناك ، من جرّاء انعكاسها للمرة الثانية والثالثة او تُشوّه قصداً وعمداً . ولكنك ستطلع في الواقع على الآلية كلها وستضطر الى تتبع تقارير البورصة من مصادرها الاولى ، – من لندن ونيويورك وباريس وبرلين وفيينا ، وآنذاك تظهر امامك السوق العالمية في انعكاسها بوصفها سوقاً للنقود وسوقاً للاوراق المالية . ان حال الانعكاسات الاقتصادية والسياسية وغيرها من الانعكاسات يشبه تماماً حال الانعكاسات في العين البشرية . فهي تجري عبر عدسة جامعة ولهذا تبدو بشكل مقلوب ، رأساً على عقب . الا انه لا وجود للجهاز العصبي الذي يوقفها من جديد على عقبها امام ابصارنا . ان رجل البورصة لا يرى حركة الصناعة والسوق العالمية الا في الانعكاس المقلوب رأساً على عقب لسوق النقود وسوق الاوراق المالية ، ولهذا تغدو النتيجة بنظره سبباً . وهذا ما سبق لي ولاحظته في

سنوات العقد الخامس في منشستر : فان تقارير بورصة لندن لم تكن تصلح اطلاقاً لتكوين فكرة بموجبها عن سير تطور الصناعة وعن نقاطها العليا والدنيا الدوريـــة ، لأن هؤلاء السادة كانوا يحاولون تفسير جميع الظاهرات بازمات سوق النقود التي كانت هي نفسها بمعظمها مجرد اعراض . كـان المقصود آنذاك انكار منشأ الازمات الصناعية من فيض الانتاج الموقت انكاراً تاماً ، ولهذا كان للمسألة ، فضلا عن ذلك ، جانب متغرض يحمل على اللجوء الى التشويه . اما الآن فان هذه النقطة تفقـــد اهميتها – بالنسبة لنا ، على الاقل ، مرة واحدة والى الابد ؛ وبالاضافة الى هذا ، هناك واقع لا مراء فيه هو انه يمكن ان تكون لسوق النقود ايضاً ازماتها الخاصة التي لا تضطلع فيها المخالفات المباشرة للانتاج الصناعي الا بدور ثانوي تابع او حتى لا تضطلع فيها باي دور . هنا لا بدّ ايضاً من توضيح ودراسة شيء ما ، ولا سيما على الصعيد التاريخي في السنوات العشرين الاخيرة .

وحيث يوجد تقسيم العمل على صعيد المجتمع ، تصبـــح عمليات العمل المنفردة مستقلة بعضها حيال بعض . ان الانتاج هو الحاســـم في آخر المطاف . ولكن ما ان تنفصل تجـــارة المنتوجات عن الانتاج بمعنى هذه الكلمـة الاصلي ، حتى تسير في حركتها الخاصة التي تهيمن عليها حركة الانتاج كلياً وتماماً ولكن التي تسير مع ذلك ، في بعض اقسامها وداخل هذه التبعية العامة ، حسب قوانينها الخاصة الملازمة لطبيعة هذا الواقـــع الجديد . ولهذه الحركة اطوارها الخاصة ، وهي تؤثر بدورهـا تأثيراً مقابلا في حركة الانتاج . فان اكتشاف اميركا قد تسبب به التعطش الى الذهب ، الذي كان قبل ذاك قد دفع البرتغاليين الى افريقيا دفعاً (قارن زوتبر . «استخراج المعادن الكريمـة») ، لأن الصناعة الاوروبية التي تطورت ببالغ القوة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، والتجارة المناسبة لها قد اقتضتا المزيد من وسائل التبادل ، الامر الذي لم تستطع المانيا – بلد الفضة الكبير من عام ١٤٥٠ الى عام ١٥٥٠ – ان تؤمنه . وقـد كان

الهدف من استيلاء البرتغاليين والهولنديين والانجليز على الهند من عام ١٥٠٠ الى عام ١٨٠٠ هو **الاستيراد من** الهنـــد . اما التصدير الى الهند ، فلم يفكر به احد . ومع ذلك ، اي تأثين مقابل هائل في الصناعة كان لهذه الاكتشافات والفتوحات التي دفعت اليها المصالح التجارية الصرف : فان الحاجة الى **التصدير الى** هذه البلدان هي وحدها التي خلقت الصناعة الكبيرة وطورتها .

كذلك الحال فيما يخص سوق النقود . فما ان تنفصـــل تجارة النقود عن تجارة البضائع حتى تكتسب – في ظروف معينة يحددها الانتاج وتجارة البضائع ، وضمن هذه الحدود – تطوراً خاصاً بها ، وحتى تغدو لها قوانين خاصة واطوار خاصة تحددها طبيعتها الخاصة . وعندما تتسع تجارة النقود ، فضلا عن ذلك ، خلال تطورها ، حتى تشمل تجارة الاوراق المالية – مع العلم ان هذه الاوراق المالية لا تتألف من سندات الدولة فقط ، بل تتألف ايضاً من اسهم مؤسسات الصناعة والنقليات ، وان تجارة النقود تظفر بالتالي بالسيادة المباشرة على قسم من الانتاج الذي يسود عموماً واجمالا عليها ، – عند ذاك يصبح التأثير المقابل لتجارة النقود على الانتاج اقوى واعقد . ان تجار النقود هم مالكو السكك الحديدية والمناجم ومصانع التعدين ، والخ . . ان وسائل الانتاج هذه تكتسب طابعاً مزدوجاً : فان عملها يجب ان يتكيف تارة لمصالح الانتاج المباشر ، وطوراً لمطالب المساهمين لأنهم هم اصحاب مصارف . واسطع مثال على هذا ، السكك الحديدية في اميركا الشمالية . فان كل عملهـــا رهن في الوقت الحاضر بعمليات البورصة التي يقوم بها جاي غولد او فندربيلت او اي آخر ، وهي عمليات غريبة تماماً عن نشاط سكة بعينها وعـن مصالحها بوصفها وسيلة للمواصلات . وحتى هنا ، في انجلترا ، شاهدنا صراعاً استمر طوال عشرات السنين بين مختلف شركات السكك الحديدية بسبب تعيين حدود اراضيها ، صراعاً انفقت في سياقه اموال طائلة ، لا في مصلحة الانتاج والنقليات ، بل بوجه

الحصر من جرّاء المزاحمة التي لا تستهدف في معظم الاحوال غير تسهيل عمليات البورصة على تجار النقود الذين يملكون الاسهم.

في هذه الملاحظات القليلة عن فهمي للعلاقة بين الانتاج وتجارة البضائع وللعلاقة بينهما وبين تجارة النقود ، اجبت ، اساساً ، عن اسئلتك حول المادية التاريخية عموماً . وهذا ما يمكن فهمه على ايسر نحو من وجهة نظر تقسيم العمل . فان المجتمع يخلق وظائف عامة معينة لا يمكنه الاستغناء عنها . والناس المعدون لهذا الغرض يشكلون فرعاً جديداً من فروع تقسيم العمل **داخل المجتمع** ، وتظهر عندهم بالتالي مصالح خاصة ايضاً حيال الذين عهدوا اليهم بهذه الوظائف ؛ ويصبحون مستقلين حيالهم ، — فتظهر الدولة . ثم يحدث ما حدث في ظل تجارة البضائع وفيما بعد في ظل تجارة النقود . صحيح انه يجب على القوة المستقلة الجديدة ان تتبع كلياً وتماماً حركة الانتاج ، ولكنها تؤثر بدورها تأثيراً مقابلا في ظروف ومجرى الانتاج بحكم الاستقلال النسبي الملازم لها او ، بالاصح ، الذي نالته ذات مرة وتطور تدريجياً اكثر فاكثر . وهذا انما هو تفاعل قوتين مختلفتين : من جهة الحركة الاقتصادية ، ومن جهة اخرى القوة السياسية الجديدة التي تسعى وراء اكثر ما يمكن من الاستقلال ، والتي ، بحكم وضعها موضع التطبيق ، تكتسب كذلك حركة خاصة بها . ان الحركة الاقتصادية ستشق على العموم طريقاً لنفسها ، ولكنها ستشعر ايضاً بتأثير مقابل من الحركة السياسية التي انشأتها الحركة الاقتصادية نفسها والتي تكسب استقلالا نسبياً . ففي الحركة الاقتصادية ، تؤثر من جهة حركة سلطة الدولة ، ومن جهة اخرى ، حركة معارضة ولدت في آن واحد مع سلطة الدولة . وكما تنعكس حركة السوق الصناعية عموماً واجمالا ، ومع التحفظات المذكورة اعلاه ، على سوق النقود ، وتنعكس طبعاً **بشكل مشوه** ، كذلك ينعكس النضال بين الطبقات الموجودة والمتناضلة حتى ذاك على النضال بين الحكومة والمعارضة ، وينعكس كذلك بشكل مشوه : لا مباشرة بل بصورة

غير مباشرة ، لا كنضال بين الطبقات ، بل كنضال في سبيل المبادئ السياسية ، وينعكس بشكل مشوه الى حد انه مرت آلاف السنين قبل ان يتضح لنا كنه المسألة .

ان تأثير السلطة السياسية المقابل في التطور الاقتصادي يمكن ان يكون ثلاثي الوجوه . فقد تفعل في نفس اتجاه التطور فيسير التطور بمزيد من السرعة ؛ او قد تفعل ضد اتجاه التطور الاقتصادي ، فتمنى بالاخفاق في الوقت الحاضر عند كل شعب كبير بعد مرور حقبة معينة من الزمن ؛ او قد تقيم عقبات امام التطور الاقتصادي في اتجاهات معينة وتدفعه في اتجاهات اخرى . وهذه الحالة تؤول في آخر المطاف الى احدى الحالتين السابقتين . ولكنه واضح انه من الممكن ان تتسبب السلطة السياسية في الحالتين الثانية والثالثة للتطور الاقتصادى بافدح الضرر وبتبذير القوى والمواد بمقادير كبيرة جداً .

وعلاوة على ذلك هناك حالة اخرى قوامها كسب موارد اقتصادية والقضاء عليها بفظاظة ، ومن جرّاء هذا كانت جميع نتائج التطور الاقتصادي لمنطقة بكاملها او لامة بأسرها تتبدد من قبل في ظروف معينة . اما الآن ، فان لهذه الحالة في معظم الاحيان عواقب معاكسة ، على الاقل عند الشعوب الكبيرة . فان المغلوب على امره يكسب بالنتيجة احياناً ، سواء في الميدان الاقتصادي او السياسي او المعنوي ، اكثر مما يكسب الغالب .

كذلك بالضبط هو حال الحق . فما ان يغدو من الضروري اجراء تقسيم جديد للعمل يخلق الحقوقيين المحترفين ، حتى يتكشف ميدان مستقل جديد يملك ، رغم كل تبعيته العامة ازاء الانتاج والتجارة ، قدرة خاصة على احداث تأثير مقابل في هذين الميدانين . ففي الدولة الحديثة ، ينبغي للحق ، لا ان يطابق الوضع الاقتصادي العام وحسب ، لا ان يكون تعبيراً عنه وحسب ، بل ان يكون ايضاً تعبيراً **منسقاً داخلياً** لا يدحض نفسه بنفسه بحكم التناقضات الداخلية . ولأجل بلوغ هذا الغرض ، تُنتهك اكثر فاكثر دقة انعكاس العلاقات الاقتصادية . وهذا ما

تتكاثر حالات وقوعه بقدر ما تندر الحالات التي تمثل فيها مجموعة القوانين تعبيراً حاداً ، غير مُلَطَّف ، غير مشوَّه ، عن سيادة طبقة واحدة ، اذ ان من شأن هذا ان يناقض «مفهوم الحق» . ان المفهوم الخالص ، المنسجم عن الحق عند البرجوازية الثورية في مرحلة ١٧٩٢ – ١٧٩٦ قد ورد مزيفاً في كثير من النواحي في مجموعة قوانين نابليون ؛ وبالقدر الذي يتجسد به هذا المفهوم عن الحق في مجموعة القوانين هذه ، لا بدّ له ان يتعرض بالقدر نفسه كل يوم لشتى عمليات التلطيف بفضل تنامي قوة البروليتاريا . ولكن هذا لا يمنع من ان تكون مجموعة قوانين نابليون مجموعة قوانين تقوم في اساس جميع التشريعات الجديدة في جميع انحاء الكرة الارضية . وعليه يتلخص سير «تطور الحق» في معظم الاحوال في انهم يحاولون بادئ ذي بدء ازالة التناقضات الناجمة عن ترجمة العلاقات الاقتصادية مباشرة الى مبادئ حقوقية ، واقرار نظام حقوقي متناسق ، ولكن تأثير التطور الاقتصادي اللاحق وقوته الالزامية يحطمان دائماً هذا النظام من جديد ويجرانه الى لجة تناقضات جديدة . (واتا هنا اقصر كلامي الآن على المدني .)

ان انعكاس العلاقات الاقتصادية في صورة مبادئ حقوقية يضع هذه العلاقات رأساً على عقب بحكم الضرورة ذاتها . فان عملية الانعكاس هذه تجري بمعزل عن ادراك العنصر الفاعل ؛ فالحقوقي يتصور انه يعمل بموضوعات بديهية ، بينا هي لا تعدو ان تكون انعكاساً للعلاقات الاقتصادية . وهكذا يقف كل شيء رأساً على عقب . اما ان هذا التشويه الذي يمثل ، طالما لم نكشفه ، ما نسميه **بالعقيدة الايديولوجية** ، يؤثر بدوره تأثيراً مقابلا في البناء التحتي الاقتصادي ويمكنه ضمن حدود معينة ان يعدله ، – فان هذا يبدو لي من باب تحصيل الحاصل . ان اساس حق الوراثة اقتصادي ، اذا افترضنا درجة واحدة لتطور العائلة . ورغم هذا ، سيكون من العسير جداً تقديم البرهان على ان حرية الايصاء المطلقة في انجلترا ، مثلاً ، والتضييق

الشديد عليه في فرنسا لا يفسرهما بكل تفاصيلهما غير الاسباب الاقتصادية . ولكن هذا وتلك يؤثران تأثيراً مقابلا ملحوظاً جداً في الاقتصاد لأنهما يؤثران في قسمة الاموال .

اما الميادين الايديولوجية التي تحلق على مستوى اعلى في عالم الخيال ، – اي الدين والفلسفة ، والخ . ، – فان لها مضموناً من قبل التاريخ ، وجدته واقتبسته المرحلة التاريخية ، مضموناً قد نسميه الآن سخافة . فان هذه التصورات الخاطئة المختلفة عن الطبيعة وعن جوهر الانسان نفسه ، وعن الارواح ، وعن القوى السحرية ، والخ . ، تقوم بمعظمها على اساس اقتصادي ، ولكن بالمعنى السلبي فقط ؛ وللتطور الاقتصادي المنخفض في مرحلة ما قبل التاريخ تصورات خاطئة عن الطبيعة ، بوصفها اضافات ، واحياناً بوصفها شرطاً وحتى بوصفها سبباً . ومع ان الضرورة الاقتصادية كانت واصبحت اكثر فاكثر مع مر الزمن النابض الرئيسي للتقدم في معرفة الطبيعة ، الا انه من باب الادعاء الفارغ ان يحاول احد من الناس ايجاد اسباب اقتصادية لجميع هذه السخافات البدائية . ان تاريخ العلوم هو تاريخ القضاء تدريجياً على هذه السخافة او الاستعاضة عنها بسخافة جديدة ، ولكنها مع ذلك اقل سخفاً . واولئك الذين يقومون بهذا انما ينتسبون الى ميادين خاصة من تقسيم العمل ، ويخيل اليهم انهم يدرسون ميداناً خاصاً . وبما انهم يشكلون جماعة مستقلة داخل التقسيم الاجتماعي للعمل ، فان منتوجاتهم ، بما فيها اخطاؤهم ، تؤثر تأثيراً مقابلاً في كامل التطور الاجتماعي ، وحتى في التطور الاقتصادي . ولكنهم رغم كل هذا يجدون انفسهم مع ذلك تحت التأثير السائد للتطور الاقتصادي . ففي الفلسفة ، مثلا ، تمكن البرهنة على ذلك بأسهل وجه فيما يخص العهد البرجوازي . فقد كان هوبس اول مادي حديث (بروح القرن الثامن عشر) ، ولكنه كان يعيش في زمن كانت فيه المَلَكية المطلقة في عموم اوروبا تمر بمرحلة ازدهارها ، ودخلت فيه في انجلترا في صراع مع الشعب ، وكان نصير الحكم المطلق . وكان

لوك ، في الدين كما في السياسة ، ابن المساومة الطبقية التي جرت في عام ١٦٨٨ . وكان انصار مذهب التأليه السببي الانجليز واتباعهم الاكثر انسجاماً منهم ، اي الماديون الفرنسيون ، فلاسفة البرجوازية الحقيقيين ، بل ان الفرنسيين كانوا فلاسفة الثورة البرجوازية . وفي الفلسفة الالمانية ، ابتداء من كانط حتى هيغل ، انعكست صورة البرجوازي الصغير الالماني ، تارة بالمعنى الايجابي وطوراً بالمعنى السلبي . ولكن الفلسفة بوصفها ميداناً خاصاً من ميادين تقسيم العمل ، تجد في كل عهد تحت تصرفها ، على سبيل المقدمة ، مادة تفكيرية معينة انتقلت اليها من اسلافها ومنها تنطلق . وهذا يفسر واقع ان البلدان المتأخرة اقتصادياً تستطيع مع ذلك ان تضطلع في الفلسفة بالدور الاول : فرنسا في القرن الثامن عشر بالنسبة لانجلترا التي اعتمد الفرنسيون على فلسفتها ، ثم المانيا بالنسبة لفرنسا وانجلترا . ولكن الفلسفة ، مثلها مثل الازدهار العام الذي عرفه الادب في ذلك العصر ، كانت كذلك ، سواء في فرنسا ام في المانيا ، نتيجة للنهوض الاقتصادي . ان هيمنة التطور الاقتصادي في هذه الميادين ايضاً ثابتة لا مراء فيها بنظري ، ولكنها تقوم ضمن ظروف يمليها الميدان المعني بالذات : ففي الفلسفة مثلا ، يمليها فعل المؤثرات الاقتصادية (التي لا تمارس فعلها مع ذلك في معظم الاحوال الا في تعبيرها السياسي وخلافه من تعابيرها) في المادة الفلسفية المتوفرة التي قدمها الاسلاف . وهنا لا يصنع الاقتصاد اي شيء من جديد ولكنه يحدد نوع التغير في المادة التفكيرية المتوفرة ويحدد تطورها اللاحق ، بل انه يفعل ذلك في معظم الاحيان بصورة غير مباشرة ، بينما التأثير المباشر الاهم تمارسه على الفلسفة الانعكاسات السياسية والحقوقية والاخلاقية .

وعن الدين قلت الضروري الضروري في الفصل الاخير من كراسي عن فورباخ * .

ولذا ، اذا كان بارت يعتقد اننا انكرنا كل تأثير مقابل

* راجع هذا المجلد ، ص ٥٧ـ٦١ . **الناشر** .

للانعكاسات السياسية وغيرها من انعكاسات الحركة الاقتصادية على هذه الحركة بالذات ، فانه بكل بساطة يقاتل طواحين هواء . حسبه ان يلقي نظرة الى كتاب ماركس «**الثامن عشر من برومير**» * حيث يدور الكلام كلياً تقريباً حول الدور **الخاص** الذي يضطلع به النضال السياسي وتضطلع به الاحداث ، طبعاً ، في نطاق تبعيتها **العامة** للظروف الاقتصادية ؛ او ان يراجع ، مثلا ، في «رأس المال» القسم المتعلق بيوم العمل ، والذي يبين اي تأثير حاسم يمارسه التشريع الذي هو عمل سياسي ، او القسم المكرس لتاريخ البرجوازية (الفصل الرابع والعشرون) . ولماذا نناضل في سبيل الديكتاتورية السياسية للبروليتاريا اذا كانت السلطة السياسية عاجزة اقتصادياً ؟ ان العنف (اي سلطة الدولة) ، انما هو ايضاً قوة اقتصادية !

ولكن الوقت لا يسمح لي الآن بانتقاد الكتاب نفسه . اولا ينبغي ان يصدر المجلد الثالث * * ثم اعتبر عموماً ان برنشتين مثلا يستطيع ان يفعل هذا بصورة ممتازة .

لا شيء ينقص جميع هؤلاء السادة كما ينقصهم الديالكتيك . فهم دائماً يرون هنا السبب فقط وهناك النتيجة . انهم لا يرون ان هذا تجريد فارغ وان هذه المتناقضات الميتافيزيائية لا توجد في العالم الفعلي الا في زمن الازمات وان السير العظيم للتطور يجري كله بشكل تفاعل (رغم ان القوى المتفاعلة على درجة كبيرة من التفاوت ؛ والحركة الاقتصادية بينها هي الاقوى ، الاولية ، الحاسمة) ، وانه لا وجود هنا لأي شيء مطلق ، وان كل شيء نسبي . وبنظرهم ، لم يكن هيغل موجوداً . . .

صدرت للمرة الاولى بنصها الكامل في مجلة «Sozialistische Monatshefte» العدد ٢٠ـ٢١ ، عام ١٩٢٠

تصدر حسب المخطوطة . كتبت باللغة الالمانية

* راجع الطبعة الحالية ، الجزء الاول ، ص ١٣٨ـ٢٦٨ . **الناشر** .

* * ـ من «رأس المال» . **الناشر** .

من انجلس
الى فرانتس مهرينغ

في برلين

لندن ، ١٤ تموز (يوليو) ١٨٩٣

عزيزي السيد مهرينغ !

اليوم فقط استطيع اخيراً ان اشكرك على تلطفك وارسالك لي «اسطورة ليسينغ» . واني اود ان لا اكتفي بمجرد بعث تأكيد صريح لك باستلامي الكتاب ، بل ان اقول لك ايضاً شيئاً ما عنه بالذات ، عن مضمونه . وهذا سبب تأخري في الجواب .

ابدأ من النهاية ، من الملحق «في المادية التاريخية» (٧٧) الذي عرضت فيه كنه المسألة عرضاً ممتازاً ، ومقنعاً لكل امرئ لا رأي مسبقاً له . واذا كانت تظهر عندي بعض الاعتراضات ، فليس ذلك الا على انك تنسب الي من الافضال اكثر مما ينبغي ، حتى وان اعتبرنا كل ما يبلغ اليه تفكيري ، اغلب الظن ، — مع مر الزمن — بصورة مستقلة ، وما اكتشفه ماركس قبلي بزمن طويل ، وهو الذي يتحلى بنظر ابعد وافق اوسع . ان من حالفه الحظ وعمل في سياق ٤٠ سنة مع رجل مثل ماركس ، لا يتمتع عادة في حياته بذلك التقدير الذي يمكنه ، على ما يبدو ، ان يأمل به . ولكن عندما يموت الرجل العظيم ، يحدث بكل سهولة ان يشرعوا في تقدير رفيقه الاقل شأناً منه باكثر مما يستحق ، وهذا ما يحدث لي الآن ، على ما يظهر . بيد ان التاريخ يضع

كل شيء في مكانه في آخر المطاف ، ولكن حتى ذاك ، سأمضي مع السلامة الى العالم الآخر ، ولن اعرف شيئاً عن اي شيء .

وعدا ذلك ، وقع تقصير في عنصر آخر فقط ، لم يتناوله التأكيد الكافي ، على العموم ، والحق يقال ، لا في اعمال ماركس ولا في اعمالي ، والذنب في هذا المجال نتشاطره جميعنا بالقدر نفسه . واعني به اننا ركزنا بصورة رئيسية ، **وكان ينبغي علينا ان نركز** ، بادئ ذي بدء ، على **استخلاص** التصورات السياسية والحقوقية وغيرها من التصورات الايديولوجية ، والافعال التي تشترطها ، من الوقائع الاقتصادية التي تقوم في اساسها . وبسبب المضمون ، اهملنا آنذاك مسألة الشكل : اي سبل يتبعها تشكل هذه التصورات ، وما الى ذلك . وهذا ما اعطى خصومنا الحجة المنشودة من اجل الاشاعات الكاذبة ، وكذلك من اجل تشويه يقدم باول بارت المثال الساطع عليه .

ان الايديولوجية انما هي عملية يقوم بها من يسمى بالمفكر ، وان عن ادراك ، ولكن عن ادراك خاطئ . فان القوى المحركة الحقيقية التي تحمله على النشاط تظل مجهولة بالنسبة اليه ، والا لما كانت العملية عملية ايديولوجية . ولذا يصنع لنفسه تصورات عن قوى حافزة كاذبة او ظاهرية . وبما ان الكلام يتناول عملية التفكير ، فانه يستخلص المضمون وشكله على السواء من التفكير الصرف ، — إما من تفكيره بالذات ، وإما من تفكير اسلافه . وهو يعنى بوجه الحصر بمادة تفكيرية ؛ وهو يعتقد صراحة ان هذه المادة وليدة التفكير ، وهو على العموم لا ينصرف الى دراسة اي مصدر آخر ، اكثر بعداً ومستقل عن التفكير . فان هذا الموقف من المسألة يبدو له بديهياً لأن كل عمل يبدو له **مرتكزاً** في آخر المطاف على التفكير ، اذ انه يتحقق **بواسطة** التفكير .

ان الايديولوجي التاريخي (والتاريخي هنا يعني مجرد تعبير جامع يشمل المفهوم السياسي والحقوقي والفلسفي واللاهوتي — وبكلمة ، جميع الميادين المتعلقة **بالمجتمع** لا

بالطبيعة) يجد تحت تصرفه في كل ميدان من ميادين العلوم مادة معينة تشكلت بصورة مستقلة من تفكير الاجيال السابقة واتبعت سبيلا مستقلا ، خاصاً بها من التطور في ادمغة هذه الاجيال المتعاقبة واحداً تلو آخر . يقيناً انه من الممكن ان تؤثر ايضاً في هذا التطور ، كاسباب مرافقة ، وقائع خارجية تتعلق بهذا او ذاك من الميادين ، ولكن هذه الوقائع ، كما يفترض ضمناً ، هي مع ذلك مجرد ثمرات عملية التفكير ، وعليه لا نزال دائماً في مضمار الفكر الخالص الذي يبدو كأنه هضم بسلامة حتى اشد الوقائع عناداً .

ان ظاهرية التاريخ المستقل لاشكال البنيان السياسي والنظم الحقوقية والتصورات الايديولوجية في اي ميدان كان ، هي التي تعمي ، قبل غيرها ، اغلبية الناس . فاذا كان لوثر وكالفين «يتغلبان» على الدين الكاثوليكي الرسمي ، واذا كان هيغل «يتغلب» على كانط وفيخته ، واذا كان روسو «يتغلب» بعقده الاجتماعي الجمهوري (٧٨) على الدستوري مونتسكيو بصورة غير مباشرة ، فان هذه عملية تبقى داخل اللاهوت والفلسفة وعلم الدولة ، وهي تمثل مرحلة في تطور ميادين التفكير هذه ولا تتخطى اطلاقاً حدود التفكير . ومنذ ان ظهر ، علاوة على هذا ، الوهم البرجوازي حول خلود الانتاج الرأسمالي وكماله المطلق ، منذ ذلك الحين ، يعتبر «تغلب» الفيزيوقراطيين وآدم سميث على انصار المركنتيلية (٧٩) انتصاراً خالصاً للفكر ، لا انعكاساً في ميدان التفكير للوقائع الاقتصادية المتغيرة ، يعتبر انه الفهم الحقيقي ، الذي تم بلوغه في آخر الامر ، للظروف الفعلية القائمة في كل مكان دون اي تغير . ينجم مما سبق انه لو ان ريتشارد قلب الاسد وفيليب — اوغست طبقا حرية التجارة بدلا من ان ينجرا الى الحروب الصليبية (٨٠) ، لامكن تجنب ٥٠٠ سنة من الفقر والجهل .

واني اعتقد اننا جميعنا اولينا هذا الجانب من القضية الذي لم استطع ان المسه هنا الا لمساً ، قدراً من الاهتمام اقل مما

يستحق . وهذه حكاية قديمة : دائماً في البدء لا يهتمون بالشكل بسبب المضمون . واكرر اني اقترفت هذا الخطأ بنفسي ، وكان هذا الخطأ يفقأ عيني دائماً «post festum» * . ولهذا لست بعيداً وحسب عن توجيه اللوم اليك بالارتباط مع هذا — فليس لي اي حق في هذا لأني اذنبت قبلك في الامر نفسه ، بل بالعكس ، — ولكني وددت مع ذلك لو الفت انتباهك الى هذه النقطة من اجل المستقبل .

وبالارتباط مع هذا ، يوجد ايضاً تصور سخيف عند الايديولوجيين : فنحن لا نقر بالتطور التاريخي المستقل لمختلف الميادين الايديولوجية التي تضطلع بدور في التاريخ ، فننكر بالتالي كل امكانية **لتأثيرها في التاريخ** . وفي اساس هذا ، يقوم تصور سطحي ، غير ديالكتيكي ، عن السبب والنتيجة يعتبرهما قطبين متضادين احدهما للآخر ابداً ودائماً ، ويغيب عن البال كلياً التفاعل بينهما . ان هؤلاء السادة ينسون في كثير من الاحيان ، قصداً وعمداً تقريباً ، ان الظاهرة التاريخية ، التي تولدها بالاحرى اسباب من طراز آخر هي في آخر المطاف اسباب اقتصادية ، تصبح على الفور بدورها عاملا فعالا ، ويمكنها ان تؤثر بالمقابل في البيئة المحيطة وحتى في الاسباب التي ولدتها . بارت ، مثلا ، بصدد المرتبة الدينية والدين ، عندك في ص ٤٧٥ . فقد اعجبني جداً كيف صفيت حساب هذا الكائن السافل الى درجة لا تصدق . وهذا الكائن يعينونه استاذ التاريخ في ليبزيغ ! مع انه كان هناك العجوز فاكسموت ، وهو ، والحق يقال ، رجل ضيق الافق مثل بارت ، ولكنه رجل من طراز آخر تماماً ، ويمتلك ناصية الوقائع بصورة ممتازة !

اما فيما يخص الكتاب ، ففي وسعي على العموم ان اكرر فقط ما سبق ان قلته غير مرة بصدد المقالات التي ظهرت في «Neue Zeit» ! فهو افضل عرض بين العروض المتوفرة عن

---

* — حرفياً : بعد العيد ، اي بعد فوات الاوان . **الناشر** .

ولادة الدولة البروسية ، بـــل ان في وسعي ، اغلب الظن ، ان اقول انه العرض الجيد الوحيد الذي يكشف بصورة صحيحة ، في معظم الاحوال ، جميع الصلات المتبادلة ، بمـــا فيها تفاصيلها الصغيرة . الا انه يمكن الاسف لأنك لـــم تستطع ان تدرس كذلك كل التطور اللاحق حتـــى بيسمارك : وبصورة عفوية ، يولد الأمل بانك ستفعل هذا في المرة القادمة وتعطي لوحة عامة في عرض مترابط ، ابتداء مـن الكورفورست (الامير) فريدريك غليوم وانتهاء بغليوم العجوز * . ذلك انك قمت بالعمل مسبقاً ، بل انه يمكن القول انك قمت به نهائياً ، على الاقل في المسائـل الاساسية . والحال كان ينبغي القيام بذلك قبل ان ينهار كـل هذا الصرح المتداعي . صحيح ان تدمير الاساطير المَلَكيـــة الوطنية ليس مقدمة ضرورية بالقدر المظنون لأجل القضاء عـــلى المَلَكية التي تستر السيادة الطبقية (لأن الجمهورية **الخالصة** ، البرجوازية في المانيا صارت مرحلة من الماضي قبل ان تنشأ) ، ولكنه يشكل مع ذلك واحداً من اكثـر الروافع فعالية لأجل هذا القضاء .

وآنذاك سيتوفر لك مزيد من المجال والامكانيات لأجـــل تصوير تاريخ بروسيا وحدها بوصفها جزءاً من العاهة الالمانية العامة . وهذا ما يشكل تلك النقطة التي اختلف معك في شيء ما بصددها ، واعني بها فهمك لمقدمات تجزؤ المانيا ولفشل الثورة البرجوازية الالمانيـــة في القرن السادس عشر . واذا تسنى لي وعدلت المقدمة التاريخية لكتابي «حرب الفلاحين» ، الامر الذي سيحدث ، كما اظن ، في الشتاء القـــادم ، فاني سأستطيع ان اطور فيها المسائل المتعلقة بهذا الموضوع . وليس ذلك لأنـي اعتبر المقدمات التي اوردتها غير صحيحة ، بل لأني سأقدم الى جانبها مقدمات اخرى واصنفها بنحو مختلف نوعاً ما .

---

* ــ غليوم الاول . **الناشر** .

عند دراسة التاريخ الالماني الذي هو عبارة عـــن حقارة وحسب ، اقتنعت دائما بان المقارنة مـــع العهود المقابلة من تاريخ فرنسا هي وحدها التي تعطي البعد الصحيح ، لأنه حدث في فرنسا تماماً عكس ما حدث عندنا . فهناك – تشكل الدولـة القومية من disjectis membris * الدولة الاقطاعية ؛ وعندنا ، في الوقت نفسه – الهبوط الاعمـــق . هناك – منطق موضوعي بديع في كل سير التطور ؛ وعندنا – بلبلة رهيبة ، مشتدة اكثر فاكثر . هناك – في مرحلـــة القرون الوسطى ، كان الفاتـــح الانجليزي الذي يتدخل في مصلحة قوم اقليم بروفانس ضد قوم فرنسا الشمالية ، ممثلا للتدخـــل الاجنبي . والحروب ضـــد الانجليز هي نوع من حرب الثلاثين سنة (٨١) التي تنتهي هناك مع ذلك بطرد الاجانب المتدخلين وبخضوع الجنـوب للشمال . ثم يعقب نضال السلطة المركزية ضد التابع البورغوندي * * الذي يعتمد على ممتلكاته في الخـــارج والذي يـــوازي دوره دور براندنبورغ – بروسيا ، ولكـــن هذا النضال ينتهي بانتصار السلطة المركزية وينجز تشكيل الدولـــة القومية . اما عندنا ، فان الدولة القومية تنهار نهائياً في هـذا الوقت بالذات (هذا اذا كان من الممكـــن تسمية «المملكة الالمانية» ضمـــن حدود الامبراطورية الرومانية المقدسة (٨٢) بالدولة القومية) ويبدأ ، على نطاق كبير ، سلب الاراضي الالمانية . وهذه مقارنة مخجلة للغاية بالنسبة للالمان ، ولكنها لهذا السبب على وجـه الضبط ذات دلالة خاصة ؛ ومنذ ان قدم عمالنا المانيا مـــن جديد الى الصفوف الاولى من حركة التاريخ ، اصبح من الاسهل علينـــا بعض الشيء احتمال خزي الماضي .

ان السمة المميزة الخاصـــة تماماً التي يتميز بها التطور الالماني تقوم ايضاً في ان القسمين اللذين يشكلان الامبراطورية

---

* ــ اقسام مبعثرة . **الناشر** .

* * ــ كارل الجريء . **الناشر** .

واللذين تقاسما بينهما في آخر المطاف المانيا بأسرها ، ليسا كلاهما المانيين صافيين ، بل كانا مستعمرتين في الارض السلافية المفتوحة : النمسا مستعمرة بافارية ، وبراندنبورغ مستعمرة ساكسونية ؛ ولم يظفرا بالسلطة في المانيا **بالذات** الا لأنهما كانا يعتمدان على ممتلكاتهما الاجنبية ، غير الالمانية : النمسا – على المجر (فضلا عن بوهيميا) ، براندنبورغ – على بروسيا . وعلى الحدود الغربية المتعرضة للخطر الاكبر ، لم يكن هناك اي شيء من هذا القبيل ؛ وعلى الحدود الشمالية ، عهدوا الى الدانماركيين انفسهم بامر حماية المانيا من الدانماركيين ؛ وفي الجنوب كانت الحاجة الى الحماية على درجة من التفاهة بحيث ان الذين كان ينبغي عليهم ان يحموا الحدود – اي السويسريين – استطاعوا ان ينفصلوا عن المانيا !

ولكني انسقت وراء محاكمات متنوعة ؛ فلتكن هذه الثرثرة بالنسبة لك ، على كل حال ، برهاناً على مبلغ الاهتمام الحي الذي استثاره **عملك في نفسي** .

مرة اخرى الشكر القلبي والتحية من المخلص لك

ف . انجلس

صدرت للمرة الاولى مع اختصارات في كتاب فرانتس مهرينغ : «Geschichte der Deutschen Sozialdemokratie», Bd. III, Th II شتوتغارت ، عام ١٨٩٨

وصدرت بنصها الكامل باللغة الروسية في مؤلفات كارل ماركس وفريدريك انجلس ، الطبعة الاولى ، المجلد ٢٩ ، عام ١٩٤٦

تصدر حسب المخطوطة . كتبت باللغة الالمانية

من انجلس الى ف . بورغيوس (٨٣)

في بريسلافل *

لندن ، ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٤

سيدي الكريم !

اجيب عن اسئلتك :

١ – اننا نفهم بالعلاقات الاقتصادية التي نعتبرها البناء التحتي المحدد لتاريخ المجتمع ، الاسلوب الذي ينتج به الناس في مجتمع معين وسائل العيش ويتبادلون به المنتوجات (ما دام يوجد تقسيم العمل) . وعليه ، يدخل هنا **كل تكنيك** الانتاج والنقل . ووفقاً لنظراتنا ، يحدد هذا التكنيك اسلوب التبادل ايضاً ، ثم اسلوب توزيع المنتوجات ، وبالتالي ، بعد تفسخ النظام العشائري ، الانقسام الى طبقات ، وعلاقات السيادة والخضوع ، والدولة ، والسياسة ، والحق ، والخ . . ثم ان مفهوم العلاقات الاقتصادية يشمل ايضاً **الاساس الجغرافي** الذي تتطور عليه هذه العلاقات ، وبقايا درجات التطور الاقتصادي السابقة ، البقايا التي انتقلت عملياً من الماضي والتي لا تزال قائمة ، احياناً كثيرة بفضل التقاليد فقط او بفضل vis inertiae * *

---

* اسمها الحالي : فورتسلاف . **الناشر** .

* * – بقوة الاستمرار . **الناشر** .

وكذلك ، طبعاً ، البيئة الخارجية التي تحيط بهذا الشكل من اشكال **المجتمع** .

واذا كان التكنيك ، كما تؤكد ، يتوقف بقدر ملحوظ على حالة العلم ، فان العلم يتوقف ، بقدر اكبر بكثير على **حالة** التكنيك **وحاجاته** . فاذا ظهرت عند المجتمع حاجة تكنيكية ، فان هذا يدفع العلم الى امام اكثر مما تدفعه عشر جامعات . ان الهيدروستاتيكا كلها * (توريتشيللي ، وغيره) قد اخرجتها الى النور الحاجة الى ضبط السيول الجبلية في ايطاليا في القرنين السادس عشر والسابع عشر . ولم نعرف شيئاً ما معقولا عن الكهرباء الا منذ اكتشاف امكان تطبيقها تكنيكياً . وفي المانيا ، اعتادوا ، مع الاسف ، ان يكتبوا تاريخ العلوم كأنما العلوم هبطت من السماء .

٢ – نحن نعتقد ان الظروف الاقتصادية تشترط في آخر المطاف التطور التاريخي . والعرق نفسه عامل اقتصادي . ولكنه ينبغي هنا ألا يغيب عن البال الامران التاليان :

أ – ان التطور السياسي ، والحقوقي ، والفلسفي ، والديني ، والادبي ، والفني ، والخ . ، يرتكز على التطور الاقتصادي . ولكنها جميعها تؤثر كذلك بعضها في بعض وفي البناء التحتي الاقتصادي . ولكنه ليس من الصحيح اطلاقاً ان الوضع الاقتصادي وحده دون غيره هو **السبب** ، وانه هو **وحده دون غيره الفعّال** ، بينما الباقي كله لا يعدو ان يكون نتيجة منفعلة . كلا . فهنا يوجد تفاعل على اساس الضرورة الاقتصادية التي تشق لنفسها دائماً طريقاً في **آخر المطاف** . فان الدولة ، مثلا ، تمارس تأثيرها بواسطة رسوم الحماية الجمركية ، او بواسطة حرية التجارة ، او بواسطة سياسة ضرائبية صالحة او طالحة . بل ان ما يعانيه البرجوازي الصغير الالماني من ارهاق قاتل وعجز فاضح ، اشترطهما وضع المانيا الاقتصادي الحقير في

---

* – علم توازن الموائع وضغطها . **المترجم** .

الحقبة الممتدة من عام ١٦٤٨ الى عام ١٨٣٠ ، ووجدا تعبيراً عنهما في مذهب التقون (٨٤) اولا ثم في العاطفية وفي التزلف العبودي امام الامراء والنبلاء لم يبق بدون تأثير في الاقتصاد . وكان هذا من اكبر العقبات امام النهوض الجديد ، وهذه العقبة لم تتزعزع الا لأن الحروب الثورية والنابليونية جعلت الفقر المزمن حاداً مدقعاً . وعليه لا يمارس الوضع الاقتصادي تأثيره بصورة اوتوماتيكية ، كما يتصور بعضهم لتسهيل الامر ، بل ان الناس هم الذين يصنعون تاريخهم ، ولكن في بيئتهم المعنية ، التي تشترطهم ، وعلى اساس العلاقات الفعلية القائمة التي تؤلف بينها الظروف الاقتصادية – مهما كان تأثير الظروف الاخرى ، السياسية والايديولوجية وغيرها قوياً عليها – العنصر الحاسم مع ذلك في آخر المطاف وتشكل ذلك الخيط الاحمر الهادي الذي يتخلل التطور كله ويقود وحده الى فهم التطور .

ب – ان الناس هم الذين يصنعون تاريخهم ، ولكنهم صنعوه حتى الآن ، دون ان يسيروا على هدى ارادة مشتركة ، وخطة مشتركة واحدة ، وحتى خارج اطار مجتمع معني ، محدود بصورة واضحة . ان مطامحهم ومساعيهم تتشابك ، ولهذا تسود في جميع هذه المجتمعات **الضرورة** التي **الصدفة** تكملة لها وشكل لتجليها . ان الضرورة التي تشق لنفسها طريقاً هنا عبر جميع الصدف هي مع ذلك في آخر المطاف اقتصادية . وهنا نجابه مسألة من يسمون بالرجال العظام . ان واقع ظهور هذا الرجل العظيم وهذا الرجل العظيم بالذات لا غيره في زمن معين وفي بلد معين هو بالطبع مجرد صدفة . ولكن اذا أُزيل هذا الرجل ، ظهر طلب باحلال بديل محله ، وهذا البديل يتواجد ، ويكون موفقاً الى هذا الحد او ذاك ، ولكنه يتواجد مع مر الزمن . اما ان نابليون ، هذا الكورسيكي على وجه الضبط ، كان ذلك الديكتاتور العسكري الذي غدا ضرورياً للجمهورية الفرنسية التي انهكتها الحرب ، فان هذا كان صدفة . ولكن لو لم يكن نابليون موجوداً ، لقام بدوره رجل آخر . وهذا ما يثبته واقع انه دائماً كان يتواجد مثل هذا الرجل عندما كانت تظهر

الحاجة اليه : قيصر ، اوغسطوس ، كروموبل ، الخ . . واذا كان ماركس هو الذي اكتشف المفهوم المادي للتاريخ ، فان تييري ومينيه وغيزو وجميع المؤرخين الانجليز قبل عام ١٨٥٠ يشكلون برهاناً على ان الامور كانت تسير نحو هذا ، بينما يبين اكتشاف مورغان للمفهوم ذاته ان الزمن قد نضج لهذا الغرض وانه كان **لا بدّ** من تحقيق هذا الاكتشاف .

كذلك بالذات هو حال جميع الصدف الاخرى وجميع الصدف الظاهرية في التاريخ . وبقدر ما يبتعد الميدان الذي ندرسه عن الميدان الاقتصادي ، وبقدر ما يقترب من الميدان الايديولوجي المجرد الصرف ، بقدر مـــا نجد المزيد من الصدف في تطوره ، ويزداد خطه المنحنى تعرجاً والتواء . واذا رسمت المحور الاوسط للخط المنحني ، وجدت انه بقدر ما تكون المرحلة المدروسة اكثر طولا ، والميدان المدروس اكثر سعة ، بقدر ما يقترب هذا المحور من محور التطور الاقتصادي ويسير بموازاته .

ان ما يلقاه التاريخ الاقتصادي في الادب من اهمال لا غفران له هو في المانيا اكبر عقبة امام الفهم الصحيح . فليس من الصعب جداً وحسب التخلي عن التصورات بصدد التطور التاريخـــي المغروسة في المدرسة ، بل انه من الاصعب ايضاً جمـــع المادة اللازمة لأجل هذا الغرض . فمن ذا الذي قرأ ، مثلا ، وإنْ مؤلفات العجوز غ . فون غوليخ الذي جمع في مجموعة جافة من المواد (٨٥) الكثير والكثير من الاشياء القيمة لأجل تفسير كثرة لا عد لها من الوقائع السياسية !

اما على العموم ، فاني اعتقد ان ذلك النموذج البديع الذي اعطاه ماركس في «الثامن عشر من برومير» * لا بدّ له ان يعطيك الجواب الكامل عن اسئلتك لأنه على وجه الضبط مثال عملي . واغلبية الاسئلة ، كما يخيل اليّ ، تناولتها في «ضد دوهرينغ» ،

---

* راجع الطبعة الحاليـــة ، الجزء الاول ، ص ١٣٨ – ٢٦٨ . **الناشر** .

القسم الاول ، الفصل التاسع والعاشر والحادي عشر ، والقسم الثاني ، الفصل الثاني والثالث والرابع ، والقسم الثالث ، الفصل الاول ، او في المقدمـــة ، وعدا ذلك ، في الفصـــل الاخير من «فورباخ» * .

ارجوك الاّ تنظر بعين التعنت الى كل كلمة في المعروض اعلاه ، والاّ تغيب عن بالك ابداً الصلة العامة المشتركة ؛ فمع الاسف ، لم يتوفر لي الوقت لكي اعرض لك كل شيء بما ينبغي من الوضوح والدقة لو كان هذا معداً للطبع والنشر . . .

صدرت للمـــرة الاولى في مجلة «Der Sozialistische Akademiker» العدد ٢٠ ، عام ١٨٩٥

تصدر حسب نص المجلة . كتبت باللغة الالمانية

---

* راجع هذا المجلد ، ص ٨–٦٢ . **الناشر** .

رسائل

من ماركس الى بافل فاسيلييفيتش اننكوف ، ٢٨ كانون
الاول [عام ١٨٤٦] 1
من ماركس الى يوسف فيديماير ، آذار ١٨٥٢ . . 16
من ماركس الى لودفيغ كوغلمان . ١٢ نيسان ١٨٧١ 17
من ماركس الى لودفيغ كوغلمان ، ١٧ نيسان ١٨٧١ 19

من ماركس الى فريدريك بولته ، ٢٣ تشرين الثاني ١٨٧١ 20
من انجلس الى اوغست بيبل ، ٢٠ حزيران ١٨٧٣ 24
من ماركس الى ولهلم بلوس ، ١٠ تشرين الثاني ١٨٧٧ 29
من انجلس الى كارل كاوتسكي ، ١٢ ايلول ١٨٨٢ 30
من انجلس الى كونراد شميدت ، ٥ آب ١٨٩٠ . . 32
من انجلس الى اوتو بونيغك ، ٢١ آب ١٨٩٠ . . 35
من انجلس الى يوسف بلوخ ، [٢١–٢٢] ايلول ١٨٩٠ 37
من انجلس الى كونراد شميدت . ٢٧ تشرين
الاول ١٨٩٠ 41
من انجلس الى فرانتس مهرينغ ، ١٤ تموز ١٨٩٣ 50
من انجلس الى ف . بورغيوس ، ٢٥ كانون الثاني
١٨٩٤ 57

14 Oct. 1871.

My dear Sir,

Enclosed the photograph for Mrs. Beesly.
The christian name of the illustrious Greenwood is Frederick.
Ce n'est pas Frederic le Grand. Vous savez que Voltaire,
dans sa retraite suisse, avait auprès de lui un jeune homme,
Wilhem, qu'il s'était accoutumé à représenter à ses visiteurs
en disant: Ce jeune homme est le premier des hommes!
I myself the pleasure to call on Mrs Beesly
, about 2 o'clock

Yours most sincerely

Karl Marx